النبي صلى الله عليه وسلم طاهر عند جميع المسلمين



تأليف

نجاح صيام

دار الفاروق

للاستثمارات الثقافية

النبي ﷺ طاهر

عند جميع المسلمين

الناشر: دار الفاروق للاستثمارات الثقافية (ش.م.م)

العنوان: ١٢ ش الدقي – الجيزة – مصر
تليفون: ٣٧٦٢٢٨٣٠/ ٠٢ – ٣٧٦٢٢٨٣١/ ٠٢ – ٣٧٦٢٢٨٣٢/ ٠٢ – ٠٠٢/ ٠٢/ ٣٧٤٨٠٧٢٩ – ٠٢/ ٣٧٤٩١٣٨٨/ ٠٢
فاكس: ٣٣٣٨٢٠٧٤/ ٠٢

فهرسة أثناء النشر/ إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية. إدارة الشئون الفنية.

صيام، نجاح.
النبي ﷺ طاهر عند جميع المسلمين/ تأليف: نجاح صيام؛ – ط ١ – الجيزة: دار الفاروق للاستثمارات الثقافية (ش.م.م)، [٢٠٠٨] ٨٠ ص؛ ٢٤ سم (إسلاميات).
تدمك: 978-977-455-164-6
رقم الإيداع: ١٣٦٧٤/ ٢٠٠٨
١ – السيرة النبوية.
أ– العنوان.
ديوي: ٢٣٩

الطبعة العربية الأولى: ٢٠٠٨
www.daralfarouk.com.eg
www.darelfarouk.com.eg

النبي ﷺ طاهر
عند جميع المسلمين

تأليف

نجاح صيام

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله الذي جعلنا مسلمين، وأرسل إلينا سيد المرسلين، وخاتم النبيين سيدنا محمدًا ابن عبد الله النبي المصطفى الأمين، الذي أرسله ربه رحمة للعالمين، وكافة للناس إلى يوم الدين، والصلاة والسلام على النبي المصطفى، والحبيب المجتبى، صلوات ربي وسلامه عليه، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأصحابه الغر الميامين، وأتباعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد، فقد قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سبأ: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [التوبة: ١٢٨-١٢٩]. وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ﴾ [الكهف: ١١٠]، وقال تعالى في وصفه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦].

وطهَّره وطهَّر أهل بيته الكرام، فقال تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

ولقد ثارت في الآونة الأخيرة ضجة غوغائية، وضوضاء جاهلية أظهرت أن المتكلمين، وجمهور المثقفين قد افتقدوا العلم برسول الله ﷺ؛ من هو؟ وبدا من كثير منهم قلة الأدب

والحياء مع رسول الله ﷺ، ومع أهل بيته الكرام، ومع الأتقياء والعلماء، وتعدى هذا إلى كل منطق سليم، أو منهج علمي اشتمل على فتنة مفتعلة أوقدوها فأكلت قلوبهم، ولكنها كانت أشد من القتل، قال تعالى: ﴿ كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾ [المائدة: ٦٤]، وقال تعالى: ﴿ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴾ [البقرة: ١٩١]. وفي عدوانهم هذا دخلوا في نطاق قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُواْ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴾ [المطففين: ٢٩-٣٤].

وكانوا كجاهلية الأمم السابقة؛ حيث استهزءوا بأنبيائهم إلى أن قتلوهم، قال تعالى: ﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ [البقرة: ٨٧]، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِٱلَّذِينَ سَخِرُواْ مِنْهُم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [الأنعام: ١٠].

هذه الضجة الغوغائية كانت حول إجابة أجابها الإمام العلامة مفتي الديار المصرية على سؤال وجه إليه في درس الجمعة في مسجد السلطان حسن، وكان نصه: (هل ثبت أن أحدًا من الصحابة تبرك ببول رسول الله ﷺ؟)

وكان نص الإجابة: نعم، أم أيمن شربت بول رسول الله ﷺ، فقال لها: «هذه بطن لا تجرجر في النار»؛ لأن فيها جزءًا من سيدنا رسول الله ﷺ، ومن أحب عرف، ومن عرف اغترف. ويكون التبرك بلعابه الشريف، أو بعرقه الشريف، أو بشعره الشريف، أو ببوله الشريف، أو بدمه الشريف، فكل من عرف حب رسول الله ﷺ لا يأنف، كما لا تأنف الأم من غائط ابنها، فما بالك بسيدنا رسول الله ﷺ، ونحن نحبه أكثر من حبنا لآبائنا وأبنائنا وأزواجنا! فمن أنف أو تأفف من رسول الله ﷺ فليراجع إيمانه.

وقد جاء في فتوى للشيخ عطية صقر رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أثناء إجابته عن سؤال: هل التبرك بآثار الصالحين من الأولياء وغيرهم يتنافى مع الدين؟

وفيه جوابه محل الشاهد: (.... وقد أذن ﷺ لأصحابه أن يتبركوا بآثاره:.... جاءت عدة روايات في أن بعض الصحابة شرب دم الحجامة من النبي ﷺ، وبعضهم شرب بوله. جاء في المواهب اللدنية للقسطلاني [١/ ٢٨٥] قوله: وفي هذه الأحاديث دلالة على طهارة بوله ودمه ﷺ. قال النووي في شرح المهذب: واستدل من قال بطهارتها بالحديثين المعروفين أن أبا طيبة الحجام حجمه ﷺ وشرب دمه ولم ينكر عليه، وأن امرأة شربت بوله ﷺ فلم ينكر عليها، وحديث أبي طيبة ضعيف، وحديث شرب البول صحيح رواه الدارقطني. وقال: هو حديث صحيح، وقيل إنه ضعيف كما في الزرقاني شارح المواهب [٤/ ٢٢٣]»(١).

وليعلم أن رسول الله ﷺ فرد جليل لم يأت مثله في العالمين، ولن يأتي إلى يوم الدين، وأنه حبيب الرحمن، وأنه سيد ولد آدم، وأنه خاتم المرسلين، وأنه ﷺ قد قرن الله اسمه باسمه، وأنه أعلى ذكره، وأنه أعلى من شأنه، وأنه جعل الصلاة عليه قربة ووسيلة للجنة، وأنه جعله ﷺ عين الحضرة القدسية، وإمامًا للمرسلين وسيدهم وخاتمهم ﷺ. والبركة ليست خاصة بالنبي ﷺ فقط كما يظن بعضهم، فقد أخرج الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الحلية: أن النبي ﷺ كان يبعث إلى المطاهر فيؤتى بالماء فيشربه، يرجو بركة أيدي المسلمين، كما في «صحيح الجامع».

وقد نشرت هذه الفتوى في كتاب فضيلته «الدين والحياة.. الفتاوى العصرية اليومية» ص ١٧٨، ١٨٨ طبعة نهضة مصر. وهو الكتاب الذي ثارت عليه ضجة غوغائية، وقد تناولتها الصحافة بما فيه الكفاية.

إن هؤلاء قد حجبوا عن رسول الله ﷺ، وبالتالي قد افتقدوا تربية مهمة ظل المسلمون وما يزالون متمسكين بها، وهو الإيمان ببشرية رسول الله ﷺ مع الاعتراف بخصوصيته. يقول الإمام عبد الوهاب الشعراني [في لواقح الأنوار]: (ولكن إذا أراد الله ﷻ أن يعرِّف عبدًا من عبيده بولي من أوليائه؛ ليأخذ عنه الأدب ويقتدي به في الأخلاق طوى عنه شهود بشريته، وأشهده وجه الخصوصية فيه، فيعتقده بلا شك ويحبه أشد المحبة، وأكثر الذين

---

(١) من فتاوى الأزهر للشيخ عطية صقر، سؤال في مايو ١٩٩٧.

يصحبون الأولياء لا يشهدون منهم إلا وجه البشرية؛ فلذلك قل نفعهم وعاشروهم عمرهم كله معهم، ولم ينتفعوا منهم بشيء)[1].

ونرى ابن عجيبة أيضًا في تفسيره الماتع [البحر المديد] يقول: (الإشارة: سر الخصوصية مستور بأوصاف البشرية، ولا فرق بين خصوصية النبوة والولاية، سترها الحق - تعالى - غيرة عليها أن يعرفها من لا يعرف قدرها؛ فلا يطلع عليها إلا من سبقت له من الله العناية، وهبت عليه ريح الهداية، وفي الحكم: (سبحان من ستر سر الخصوصية بظهور وصف البشرية، وظهر بعظمة الربوبية في إظهار العبودية). وقال أيضًا: (سبحان من لم يجعل الدليل على أوليائه إلا من حيث الدليل عليه، ولم يوصل إليهم إلا من أراد أن يوصله إليه)... وقال أبو العباس المرسي في البحر المديد: (وإذا أراد الله أن يعرفك بولي من أوليائه طوى عنك وجود بشريته، وأشهدك وجود خصوصيته).اهـ. قلت: ومعنى (طوى عنك وجود بشريته): هو عدم الوقوف مع أوصافها اللازمة للنقائص، بل تنفذ منها إلى شهود خصوصيته، التي هي محل الكمالات، فأوصاف البشرية الذاتية للبشر لا تزول عن الولي، ولا عن النبي كالأكل والشرب، والنوم والنكاح، والضعف والفقر، وغير ذلك من نعوت البشر؛ لأنها في حقهم رداء وصون لستر خصوصيتهم؛ صيانة لها أن تتبدل بالإظهار، وينادى عليها بلسان الاشتهار، ولذلك اختفوا عن كثير من الخلق. وإلى هذا أشار في الحكم بقوله: (لا يلزم من ثبوت الخصوصية عدم البشرية)[2].

ويقول سيدي علي وفا في شأن المصطفى ﷺ - وهو يسير نفس مسار أولياء الله وعلماء الأمة؛ حيث رأوا بشريته وخصوصيته معًا:

لو أبصر الشيطان طلعة نوره ... في وجه آدم كان أول من سجد

أو لو رأى النمروذ حسن جماله ... عَبَد الجليل مع الخليل وما عند

لكن نور الله جل بأن يُرى ... إلا بتخصيص من الله الصمد

(١) لواقح الأنوار في طبقات الأخيار، للإمام عبد الوهاب الشعراني ١/ ٥٠، ٥١.

(٢) البحر المديد، لابن عجيبة، تفسير أوائل سورة إبراهيم.

قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

وتجاوزًا لهذه الضجة الغوغائية راجعت المسألة بمنهج العلماء من السلف الصالح، فوجدت أنها اشتملت على ثلاث نقاط:

الأولى: هي قضية التبرك برسول الله ﷺ في ذاته الشريفة، وفيما يتعلق به.

والثانية: هي طهارته في الظاهر والباطن، وما حكمة هذه الطهارة، وهل هي خاصة به، أو هي متعلقة بالنبوة فيشترك معه فيها سائر الأنبياء، وما سببها، وهل لها تعلق بالوظيفة التي أقامه الله فيها من تبليغ الرسالة وتحمل مقتضيات الوحي، وجريان المعجزة عليه، ومنه ﷺ؟

والثالثة: حديث أم أيمن في حادثة شرب البول.

وأن هذه ثلاث مسائل مختلفة غبَّش عليها الإعلام الرديء الذي أدى إلى ترك المنهجية العلمية، والذي سمح لكل ناعق ومنافق أن يدلي بدلوه الخبيث في هذه المسألة التي تعلقت بوجدان النّاس، وإيمانهم، وعقولهم، والتي أريد لها أن تأخذ هذا المنظر القبيح من العدوان على مقام العلماء، فكان لزامًا عليّ أن أبين للمسلمين، ولمن بعدنا من أبنائنا وأحفادنا حقيقة الأمر؛ حتى نحافظ على مصادر الدين، وكيفية التلقي، وكيف نعيش به في هذا العصر الذي كثر فيه الطالح، وقل فيه الصالح، والذي اختل فيه الميزان والتفكير المنطقي، وغاب المنهج العلمي، حتى أصبحنا في أمور فوضى أرادوها خلاقة، وهي لا تكون إلا فوضى النفاق وسوء الأخلاق.

إننا نواجه في عصرنا هجمة شرسة من العلمانية التي تريد أن تثبت للناس بالباطل أن الدين في هامش حياتهم، وأنه ينبغي عليهم أن يجعلوه كذلك؛ حيث يهتم بالتافه من الأمور، وهم لا يدركون أن ما وصفوه بالتافه يؤثر في النفس البشرية، وأن النفس البشرية مجال واحد لا يصلح معه العبث الذي يريدونه له.

كل هذا وغيره حملني على جمع هذا الكتاب الذي ننقل فيه طهارة النبي المصطفى في الظاهر والباطن، والتبرك بآثاره وفضلاته ﷺ، ونصحح فيه قصة شرب بول النبي ﷺ التي قامت عليها الدنيا ونسأل الله أن تقعد، ولكن في مقاعد الصالحين والطيبين، لا في مقاعد المحجوبين المساكين.

وقد جعلت هذا الكتاب على ثلاثة فصول، على النحو التالي:

الفصل الأول: قضية التبرك برسول الله ﷺ في ذاته الشريفة، وفيما يتعلق به.

الفصل الثاني: طهارته ﷺ في الظاهر والباطن.

الفصل الثالث: تخريج واقعة شرب امرأة لبول النبي ﷺ.

خاتمة: في حب الصحابة الكرام - رضوان الله عليهم - لرسول الله ﷺ.

تمهيد

أتساءل كثيرًا: لماذا نحن في هذه الحالة من التلبيس والتدليس؟ حيث تؤخذ الأمور من غير سياقها، وتنشر على عموم الناس، بطريقة مشوهة فيها نوع من التلبيس، وليس من الكذب الصريح، أو الاختلاق التام، ثم بعد ذلك نحول المسائل الجزئية - حتى المتفق عليها - إلى قضايا، بل وقضايا رأي عام. ويأتي السؤال هنا عن أمانة الكلمة التي أُمِرْنا بها في الإسلام، والتي نراها في ميثاق الشرف الإعلامي؛ حتى إنها أصبحت من قواعد الإعلام العالمي أن يكون الإنسان شفافًا وصادقًا ودقيقًا وواضحًا، من غير تلبيس، ولا تدليس.

فبالأمس القريب انتزعت فتوى بشأن التماثيل، وصار حولها لغط وجدال، وعندما سألنا: ولم تحول المسائل إلى قضايا؟ فقالوا: نحن نبحث عن الغريب، وعن المثير. قلنا لهم: إننا نريد أن نبني عقلية الأمة، وعقيدتها بالأدلة المعتبرة، لا بالهوى والتشهي، وهناك فارق بين الرغبات التي تعتري بعض الناس من أجل تقليد الماضي، أو من أجل تقليد الغير، وبين الأسس الشرعية التي تشبه القوانين في صياغتها، وفي أهدافها؛ فرد علينا أحدهم بأن هذا شأن الإعلام، وسيظل كذلك أبدًا. وأنا أقول: لن نيأس من عرض هذا الأمر المهم على الرأي العام، وعلى أساتذة الصحافة، وعلى كتابنا الأكابر. هل من شرط الإعلام أن يكون مثيرًا لجدل خطير يتعلق بالعقائد وبالاستقرار، وأن يترك الأمة تذبح هنا وهناك، أو يتركها في مشكلات الأمية والبطالة، أو يترك حزام الفقر يستشري فيها، كل ذلك من أجل الإثارة؟ سؤال نريد عنه جوابًا صريحًا.

ما الفائدة للصحافي الذي يأخذ المسألة من كتاب طبع منذ ست سنوات، ويترك مرادها، ويدندن حولها بما لم يقله كاتبه، ويفصلها عن سياقها؟ ثم يأتي صحافي آخر من غير مراجعة، ولا تثبت، ولا يلتفت إلى مدى تأثيره على عموم الناس، ولا مدى تشويشه على الأمن

الاجتماعي، فيتمادى في تصورات يصور بها المسألة في صورة بشعة لا تخطر على بال أحد، ويشوش بذلك على قرائه، ويضطرنا لأن نشغل أزماننا بالدفاع عن أنفسنا، بدلاً من الانطلاق نحو الخير، ثم يأتي ثالث ويستعظم أمر ما قرأ - وهو غير حقيقي - ويبني عليه ما يريد، والنبي ﷺ يقول في مقدمة صحيح مسلم: «كفى بالمرء كذبًا أن يحدث بكل ما سمع»(١). ويوردها مسلم كمنهج للتوثيق الذي أمرت به الأمة، تطبيقًا لقوله - تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾[الإسراء: ٣٦].

ومن الناحية المنهجية فإننا نتعامل مع نصوص من الكتاب والسنة، ومع تراث لعلماء أجلاء أتقياء أنقياء بحثوا الأمور بتوسع، وليس من قبيل تجديد الدين أن نرد كل شيء لم ندرج عليه، خاصة من لم يتعود الالتزام بالأحكام الشرعية بدعوى أن هذا يخالف العقل، فإن العلماء كادوا يجمعون على أن جسد رسول الله ﷺ طاهر في ظاهره وفي باطنه، وبنوا على ذلك أحكامًا كلها ترجع إلى العقيدة؛ لأن رسول الله ﷺ قد انتقل إلى الرفيق الأعلى وهذا لا يخالف العقل في شيء، فإن جسد رسول الله ﷺ ليس كجسد أحد من البشر، فقد هيئه الله ﷻ، فغسلت الملائكة جوفه مرة في مضارب بني سعد، ومرة أخرى عند الكعبة، وكان يقول أبيت عند ربي فيطعمني ويسقيني ويواصل الصيام، وكان عرقه الشريف ﷺ أطيب من ريح المسك.

فعن أبي هريرة ﷺ: أن رجلاً أتى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، إني زوجت ابنتي، وإني أحب أن تعينني بشيء، فقال: «ما عندي من شيء، ولكن إذا كان غدًا فتعال، فجئني بقارورة واسعة الرأس وعود شجر....». قال: فأتاه بقارورة واسعة الرأس وعود شجر، فجعل يسلت العرق من ذراعيه حتى امتلأت القارورة؛ فقال: «خذ، وأمر بنتك إذا أرادت

(١) رواه مسلم في صحيحه، رقم ٥.

أن تطيب أن تغمس هذا العود في القارورة وتطيب به» . قال: فكانت إذا تطيبت شم أهل المدينة رائحة ذلك الطيب فسموا بيت المطيبين[1].

حتى قال أبو بكر - عندما دخل عليه بعد انتقاله ﷺ: طبت حيًّا وميتًا[2].

وليس الأمر قاصرًا على الأدلة المتكاثرة، بل الأمر أيضًا أننا نجد في تراث الأمة - عرفها من عرفها وجهلها من جهلها - قول ابن حجر العسقلاني - شيخ الإسلام: تكاثرت الأدلة على طهارة فضلاته ﷺ، وعد الأئمة ذلك في خصائصه، فلا يلتفت إلى ما وقع في كتب الشافعية مما يخالف ذلك، فقد استقر الأمر من أئمتهم على القول بالطهارة.

ومشكلة فكرية أخرى من أولئك الذين يطلبون منا أن نتجاوز كل ما في كتبنا وتراثنا وأحاديثنا، بالرغم من وصولها موثقة بمنهج علمي؛ لأنها قد خالفت بداهة الرأي عندهم، فنقول لهؤلاء الفريق: إن هذا طريق غير سديد، وهو الذي ولَّد قضية الإرهاب، فإن كثيرًا منهم ذهب إلى هذا المجال بمشربه المتشدد، ولعدم الحب العاطفي لرسول الله ﷺ، والذي نجده عند الصوفية، وكذلك ذهب إليه من إنكار بعضهم وهو يناقشهم الآيات والأحاديث لمجرد أنه فشل في فهمها، أو في إنزالها منزلتها من الرؤية الكلية للدين، فهذا الإنكار المطلوب منا أن ننكره فخ عظيم، لا يرضى به أحد، لا المسلمون ولا غير المسلمين.

إن المسلمين كما يقولون بطهارة رسول الله ﷺ في الظاهر والباطن، فإنهم يقولون بطهارة السيد الجليل عيسى، والسيد الجليل موسى، وسائر الأنبياء والمرسلين عليهم السلام كما نص عليه الأئمة الأعلام.

---

(١) الطبراني في المعجم الأوسط، رقم ٢٨٩٥، قال الهيثمي: فيه حلبس الكلبي وهو متروك.

(٢) رواه البخاري في صحيحه رقم ٣٤٦٧.

فرسول الله ﷺ آية في طهارته، آية في جماله، آية في نظافته، لا يملك الناظر إليه، والمتعرف عليه حقيقة إلا حبه، والتعلق به، قد تجلى عليه ربنا ﷻ بكمالاته وجمالاته، ومنها النظافة، فقد روي: «إن الله طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة»[١].

وانظر إلى كلام الحافظ العراقي حيث يقول: نعم الذي نعتقد فيه ﷺ أنه لم يكن لإبطه رائحة كريهة، بل كان نظيفًا طيب الرائحة، كما ثبت في الصحيحين من حديث أنس: ما شممت عنبرًا قط ولا مسكًا ولا شيئًا أطيب من ريح رسول الله ﷺ. وفي الصحيحين أيضًا: أن أم أنس كانت تجمع عرقه ﷺ في قارورة فتجعله في طيبها.

وهو من أطيب الطيب، وأبلغ من ذلك ما كان يوجد من الرائحة الطيبة عند قضائه ﷺ حاجته، كما حكاه القاضي عياض عن بعض المعتنين بأخباره، أنه إذا أراد أن يتغوط انشقت الأرض فابتلعت غائطه وبوله، وفاحت لذلك رائحة طيبة، ويدل على ذلك ما رواه ابن سعد في الطبقات، بإسناده إلى عائشة، أنها قالت للنبي ﷺ: إنك تأتي الخلاء فلا نرى منك شيئًا من الأذى. فقال: «يا عائشة، أو ما علمت أن الأرض تبلع ما يخرج من الأنبياء». وقد قال بعض العلماء بطهارة الحدثين منه ﷺ وزاده تشريفًا وتكريمًا[٢].

ومدخل آخر قد يكون من مداخل هذه المسألة، وهو انخفاض مستوى محبة الناس لسيدنا رسول الله ﷺ، حتى ممن ينتسبون إلى التشبه به ظاهرًا، فمحبة رسول الله ﷺ لو وصلت إلى الحد المطلوب أو دخلت إلى القلوب، ما رأينا من اعتراض لفظي أو نفسي على مسألة التبرك والاستشفاء بآثاره الشريفة.

قال الإمام الذهبي أيضًا: أخبرنا أحمد بن عبد المنعم، غير مرة، أنا أبو جعفر الصيدلاني - كتابة - أنا أبو علي الحداد - حضورًا - أنا أبو نعيم الحافظ، ثنا عبد الله بن جعفر، ثنا محمد ابن عاصم، ثنا أبو أسامة عن عبيد بن نافع عن ابن عمر: أنه كان يكره مس قبر النبي ﷺ.

---

(١) رواه الترمذي، رقم ٢٧٩٩، وقال: غريب.

(٢) طرح التثريب، للعراقي ٢/ ٨١.

قلت: كره ذلك لأنه رآه إساءة أدب. وقد سئل أحمد بن حنبل عن مس القبر النبوي وتقبيله فلم ير بذلك بأسًا، رواه عنه ولده عبد الله بن أحمد.

فإن قيل: فهلاَّ فعل ذلك الصحابة؟ قيل: لأنهم عاينوه حيًّا، وتملوا به، وقبلوا يده، وكادوا يقتتلون على وضوئه، واقتسموا شعره المطهر يوم الحج الأكبر، وكان إذا تنخم لا تكاد نخامته تقع إلا في يد رجل فيدلك بها وجهه، ونحن فلما لم يصح لنا مثل هذا النصيب الأوفر ترامينا على قبره بالالتزام والتبجيل والاستلام والتقبيل(١).

وانظر إلى كلام الشيخ البوطي - حفظه الله - وهو يقرر علاقة المحبة بما ورد من آثار التبرك بالنبي ﷺ؛ حيث يقول: قلنا إن عروة بن مسعود، جعل يرمق أصحاب النبي ﷺ بعينيه، قال: فوالله ما تنخم رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده، ما يحدّون النظر إليه تعظيمًا إليه.

إنها لصورة بارزة حية أوضحها عروة بن مسعود لمدى محبة أصحاب رسول الله ﷺ له، وإن فيها لدلالات مهمة يجب أن يقف عندها كل مسلم، إنها تدل أولاً: على أنه لا إيمان برسول الله ﷺ دون محبة له، وليست المحبة له معنًى عقلانيًّا مجردًا، وإنما هي الأثر الذي يستحوذ على القلب فيطبع صاحبه بمثل الطابع الذي وصف به عروة بن مسعود أصحاب رسول الله ﷺ، وهي تدل ثانيًا: على أن التبرك بآثار النبي ﷺ أمر مندوب إليه ومشروع، ولقد وردت أحاديث صحيحة ثابتة عن التبرك بشعر النبي وعرقه ووضوئه وبصاقه والقدح الذي كان يشرب فيه ﷺ(٢).

---

(١) معجم الشيوخ، للذهبي ١/ ٧٣، ٧٤.

(٢) فقه السيرة، للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، ص ٢٣٧، ٢٣٨.

ثم علق الشيخ البوطي في أسفل كتابه على ما ذكره من كلام عروة بكلام طويل ننقله لفائدته، فقال: حدثني صديق أجلُّه أن رجلاً عمد إلى الصفحة التي فيها كلام عروة هذا، من كتابي هذا [فقه السيرة] فاستنسخ منها ما شاء الله من الصور بالـ(فوتو كوبي)، وجعل يدور بها على الناس، متخذًا منها وثيقة اتهام، بل انتقاصًا لرسول الله ﷺ. وأقول: أما ما عمد إليه هذا الرجل من استكثاره لهذه الصفحة التي تضمنت هذا البيان، ونشرها في الناس، ولفت أنظارهم إلى ما قد دلت عليه، فلا ريب أنه مشكور على ذلك ومأجور، ولو خلصت النية وصفا القصد.. فإن عمله هذا ليس إلا تأكيدًا لحقيقة ثابتة قد يجهلها كثير من الناس اليوم، ألا وهي شدة تعظيم الصحابة لرسول الله ﷺ، والمبلغ الذي بلغه حبهم العجيب له!.. وما أكثر الألغاز الجاثمة التي تتحدى العقل، في معالم الفتح الإسلامي وأحداثه! ولو لم يفسرها هذا الحب العظيم الذي هيمن على مجامع القلوب، وامتد إلى أغوار النفوس، والذي جاء ثمرة اليقين العقلي الجازم بأن محمدًا ﷺ هو رسول الله ورحمته المهداة إلى الناس أجمعين.

وأما ما قصد إليه هذا الإنسان، من وراء ذلك، من تشويه مكانة محمد – عليه الصلاة والسلام – في القلوب، وإظهاره في أعين الناس في مظهر المُدِل على أصحابه. المتلذذ برؤية هذا الذي يتسابقون إليه، وإبرازه في صورة الثقيل السمج، دأبه أن يرى الناس من نفسه ما كان خليقًا به أن يستره عنهم، يروضهم بذلك على حبه والاستئناس بكل ما قد يتصل به أو ينفصل عنه... أقول: أما ما قصد إليه هذا الرجل من ذلك، فقد أبعد النجعة، وأخطأ الطريق، وخانه الهدف!..

كثيرون هم الذين سعوا هذا السعي، واعتصروا الفكر، واستنجدوا بالحيلة، وناشدوا التاريخ، كي يتاح لهم أن ينسجوا صورة من هذا القبيل لمحمد رسول الله ﷺ، فما عادوا من سعيهم أو محاولتهم بأي طائل. وظل كل من العقل والتاريخ والفكر الحر أمينًا على الكلمة الجامعة التي وصف الله بها محمدًا – عليه الصلاة والسلام: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤].

اقرأ ما تشاء من صفحات أي كتاب في شمائل هذا الرسول العظيم، تجد نفسك أمام المثل الأعلى، والنموذج الأتم للإنسانية السامية الصافية عن الشوائب، وللذوق الرفيع في مقاييس المعاملة والسلوك، وللإحساس المرهف في رعاية الآخرين والاهتمام بهم، وللنظافة والرتابة وأناقة الشكل والمظهر، وللتواضع المتناهي أمام كل فئات أصحابه.

لم يكن يستقبل الوافدين إليه إلا بأنظف الثياب وأبهى الحلل. كان أشد ما يكون حرصًا على ألا يرى الناس منه إلا ما تسر به العين، وألا تقع أنوفهم منه إلا على أطيب رائحة. وقد ثبت أنه كان ينفق جل ماله في الطيب.

لم يكن يأكل ثومًا أو بصلاً، أو أي طعام يتأذى الناس منه برائحة كريهة، ولما كان ضيفًا في دار أبي أيوب الأنصاري، في أيامه الأولى من هجرته إلى المدينة، وعادت قصعة الطعام من عنده مرة دون أن يطعم منها شيئًا، فزع أبو أيوب وهرع إلى رسول الله يسأله عن سبب ذلك، فقال: لقد شممت فيه رائحة تلكم الشجرة (أي الثوم) وأنا أناجي (أي الملائكة)، أما أنتم فكلوا.

وكان إذا مضى لقضاء حاجة، أبعد، ثم أبعد، حتى لا يقع الناس منه على أثر. وكان يرجل شعره، ويتعهد فمه وأسنانه، وربما أبصر صفرة في أسنان بعض جلسائه، فتوجه إلى الجميع بنصيحة عامة، ونقد رفيع، وقال: «ما بالكم تأتوني قلحًا لا تسوكون»(١).

هذا هو محمد ﷺ، في بعض ما تتحدث عنه شمائله المعبرة عن سمو أخلاقه، ورقة شعوره، وشفافية ذوقه، ونبل إحساسه. فهل ترى في هذه اللوحة الإنسانية النموذجية، مساحة ما، لقبول أي عيب أو تزوير أو تشويه؟

(١) رواه أحمد في مسنده، رقم ١٥٦٥٦، قال الهيثمي: فيه أبو علي الصيقل قيل فيه إنه مجهول.

إذن، فليس في شيء من حديث عروة بن مسعود عن حب الصحابة لرسولهم، ما يلحق بالرسول أية منقصة في طبعه، أو يصمه بأية غلظة في تعامله وسلوكه، أو يبرزه في مظهر المدل زهوًا على أصحابه، أو الدافع لهم إلى ما فعلوا.

فإن أراد هذا الرجل أن يتحول بعدئذ بالنقد والاشمئزاز إلى أولئك الناس الذين ساقهم الحب إلى ما صنعوا، فإن عليه أن يتبين قبل كل شيء خصمه الحقيقي الذي أثار في نفسه بواعث النقد والاشمئزاز حتى لا يتهم البرآء ظلمًا وعدوانًا.

وإنما خصمه في هذه الدعوى الحب!... الحب هو الذي حمل أولئك الناس على فعل ما وصفه عروة بن مسعود، وفعل ما هو أبلغ من ذلك!... والحب هو الذي لين تحت سلطانهم الحديد، وقرب إليهم البعيد، وجعل المستحيل بين أيديهم ممكنًا، وجعل القبح جميلاً، والملح الزعاق حلوًا طيب المذاق!.. هذا هو شأن الحب، وذلك هو جبروته وسلطانه.

فإن علم هذا الرجل، أن لنواميس هذه الحياة سلطانًا أقوى نفوذًا إلى النفوس، وهيمنة على القلوب من سلطانه فليشكه إليه، وليستعده عليه، وليصف له اشمئزاز نفسه، من هذا الذي يفعله الحب، بنفوس الناس، ومن العمل الذي يحملهم عليه!...

ولكن يا عجبًا!.. يرى ويعلم هذا الرجل وأمثاله ما يفعله الحب الأرعن بأصحابه؛ أعني ذلك الحب الذي يتسلل إلى القلب في غفلة العقل، أو متحديًا للعقل وأحكامه؛ إذ يسوقه إلى شذوذات عجيبة في السلوك، ويزجه في أوحال المهانة والقذارة التي يشمئز من بيانها البيان، فلا يستعظم من ذلك شيئًا، ولا تشعره نفسه الحساسة بأي قرف أو اشمئزاز، بل ما أكثر ما يبارك كتاب، وأدباء، وشعراء، هذا الشذوذ (الوردي)! وما أسهل أن يتصوروه أو يصوروه تجسيدًا رائعًا للهيجان الخمري المعتق!..

حتى إذا رأى صورة ذلك الحب العُلوي الذي ينسكب في المشاعر من القلب والعقل معًا، وأبصر شيئًا من آثاره في حياة صاحبه وسلوكه، تعجب واستغرب، واصطنع التأفف والاشمئزاز، وأخذ يندب اللباقة والذوق الرفيع!

ألا، فليعلم هذا الرجل وأمثاله أن كل شيء في الدنيا يخضع لقانون مستقل عنه، إلا الحب، فلن تراه خاضعًا إلا لقانونه ذاته!..

والويل كل الويل لمن كان حب قلبه تمردًا على عقله. وليهنأ ذاك الذي كان حبه القلبي تجاوبًا مع قراره العقلي. وحسب أصحاب رسول الله ﷺ شرفًا وفخرًا أن الحب الذي استبد بقلوبهم لرسول الله كان شعاع إيمانهم العقلي بصدق نبوته، وسمو مكانته عند رب العالمين جل جلاله، فليفعل بهم هذا الحب ما يشاء، وليحملهم على التبرك والتمسح بعرقه وبصاقه وما يتساقط من شعره وما يتقاطر من ماء وضوئه.. فإنها هي لغة الحب.. ولا تصاغ لغة الحب إلا في داخل بوتقته، ولا يتحكم بها غيره.

وإني لأعلم أن في الناس اليوم من لو رأت أعينهم محمدًا ﷺ، يمشي على الأرض، لهاج بهم هائج الحب، ولخروا إلى الأرض يلعقون الثرى الذي سما وازدهى تحت قدمي رسول الله!..

ولا يخاصم منطق الحب هذا إلا من يقارعه بمنطق الكراهية والبغض. وخصومة كهذه؛ لا يقرها منطق ولا يدعمها عقل؛ إذ من البدهي أن الجدل هو أمر ما، لا يتحرك ويتفاعل إلا فوق أرض من اليقين بحقيقة مشتركة بين الطرفين. وقد التقطت حكمة الدهر كلمة، قيل إن مجنون بني عامر قالها يوم سمع أن في الناس من يعيب عليه وينتقده لتعلقه بليلى، وهي فيما زعموا سمراء دميمة. فقال: لو نظروا إليها بعيني لعلموا أنهم مخطئون(١).

كل ذلك يوضح مدى حب الصحابة الكرام - رضوان الله عليهم - وعلماء الأمة المحققين للنبي ﷺ، فلو صح الحب لحضرته لاكتفينا، والله الموفق.

وفيما يلي من فصول ذلك الكتاب نرى إثبات طهارة المصطفى ﷺ في الظاهر والباطن وجواز التبرك بفضلاته وآثاره الشريفة، وصحة واقعة شرب أم أيمن لبوله الشريف ﷺ.

---

(١) فقه السيرة، للدكتور محمد سعيد رمضان البوطي، هامش الصفحات ٢٣٨-٢٤٠.

الفصل الأول

قضية التبرك برسول الله ﷺ

في ذاته الشريفة، وفيما يتعلق به

أجمعت الأمة على مشروعية التبرك برسول الله ﷺ، وبآثاره وما يتعلق به في حياته؛ بحيث إنه لم يشذ عن ذلك مسلم، واستدلوا بأدلة كثيرة، وصلت إلى أكثر من تسعين حديثًا، وجماهير العلماء على أن هذا التبرك مستمر بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى ﷺ، واستدلوا بأدلة متكاثرة تؤيد ذلك، وعلى هذا علماء المذاهب الأربعة، بل الثمانية.

وفي هذا المعنى ألفت المؤلفات المستقلة، وكتب فيه بتوسع أثناء كتب كثيرة كفصول أو أبواب، نلخصها في هذا المختصر، ونشير إلى بعضها:

يقول العلامة المحقق محمد طاهر بن عبد القادر بن محمود الكردي المكي الخطاط:

ولا شك أن آثار رسول الله ﷺ صفوة خلق الله، وأفضل النبيين، أثبت وجودًا وأشهر ذكرًا، وأظهر بركة، فهي أولى بذلك وأحرى، وقد شهدها الجم الغفير من أصحابه، وأجمعوا على التبرك بها، والاهتمام بجمعها، وهم الهداة المهديون والقدوة الصالحون، فتبركوا بشعراته ﷺ، وبفضل وضوئه، وبعرقه وبثيابه وآنيته وبمس جسده الشريف، وبغير ذلك مما عرف من آثاره الشريفة التي صحت بها الأخبار عن الأخيار.

وقد وقع التبرك ببعض آثاره ﷺ في عهده وأقره ولم ينكر عليه، فدل ذلك دلالة قاطعة على مشروعيته، ولو لم يكن مشروعًا لنهى عنه ﷺ[1].

---

(١) تبرك الصحابة بآثار رسول الله ﷺ وبيان فضله العظيم، لمحمد الكردي المكي الخطاط، صـ٣.

المبحث الأول
ذكر أحاديث التبرك

وننقل فيما يلي مجموعة من الأحاديث النبوية في التبرك بالمصطفى ﷺ، وآثاره الشريفة:

أولاً: في التبرك بجسده الشريف:

أتى النبي ﷺ (أحد الصحابة) يومًا وهو يبيع متاعه، فاحتضنه من خلفه وهو لا يبصره فقال: أرسلني، من هذا؟ فالتفت فعرف النبي ﷺ، فجعل لا يألو ما ألصق ظهره بصدر النبي ﷺ حين عرفه(١).

ثانيًا: التبرك بفضل وضوئه:

أخرج البخاري بسنده، قال عروة عن المسور وغيره يصدق كل واحد منهما صاحبه: وإذا توضأ النبي ﷺ كادوا يقتتلون على وضوئه(٢).

وفي حديث صلح الحديبية في البخاري من حديث المسور بن مخرمة، بعد رجوع عروة بن مسعود إلى قريش: فرجع عروة إلى أصحابه، فقال: أي قوم، والله لقد وفدت على الملوك، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله إن رأيت ملكًا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد ﷺ محمدًا، والله إن تنخم نخامة، إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها

---

(١) رواه أحمد في مسنده، رقم ١٢٦٤٨، وصححه الألباني في مختصر الشمائل، والصحابي هو زاهر بن حرام وهو رجل بدوي، وكان لا يزال يأتي النبي ﷺ بطرفة أو هدية، فيجهزه رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج، وقال عنه رسول الله: «إن زاهرًا باديتنا ونحن حاضروه» رواه أحمد في مسنده.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، رقم ١٨٦.

وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيمًا له، وإنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها(١).

وعن عون بن أبي جحيفة عن أبيه قال: رأيت رسول الله ﷺ في قبة حمراء من أدم، ورأيت بلالاً أخذ وضوء رسول الله ﷺ، ورأيت الناس يبتدرون ذاك الوضوء، فمن أصاب منه شيئًا تمسح به، ومن لم يصب منه شيئًا أخذ من بلل يد صاحبه(٢).

ثالثًا: التبرك بريقه ﷺ:

فقد صح عنه ﷺ أنه كان يؤتى بالصبيان فيبرِّك عليهم ويحنكهم(٣).

وعن أسماء أنها حملت بعبد الله بن الزبير، قالت: فخرجت وأنا متم، فأتيت المدينة، فنزلت بقباء فولدته بقباء، ثم أتيت به النبي ﷺ فوضعته في حجره، ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل في فيه، فكان أول شيء دخل جوفه ريق رسول الله ﷺ، ثم حنكه بتمرة، ثم دعا له وبرَّك عليه، وكان أول مولود في الإسلام(٤).

وعن عبد الله بن بريدة قال: سمعت أبي يقول: إن رسول الله ﷺ تفل في رجل عمرو بن معاذ حين قطعت رجله فبرأ(٥).

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم ٢٥٨١.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، رقم ٣٦٩.

(٣) رواه مسلم في صحيحه، رقم ٢٨٦.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، رقم ٣٦٩٧.

(٥) رواه ابن حبان في صحيحه ١٤/ ٤٣٩.

رابعًا: التبرك بنخامته ﷺ:

صح عنه ﷺ - كما في صحيح البخاري - أنه كان لا يبصق بصاقًا، ولا يتنخم نخامة إلا تلقوها، وأخذوها من الهواء ووقعت في كف رجل منهم، فدلكوا بها وجوههم وأجسادهم ومسحوا بها جلودهم وأعضاءهم تبركًا بها(١).

خامسًا: التبرك بدمه ﷺ:

وكانت أسماء بنت أبي بكر تقول للحجاج: إن النبي ﷺ احتجم فدفع دمه إلى ابني - تقصد عبد الله بن الزبير - فشربه فأتاه جبريل عليه السلام فأخبره؛ فقال: «ما صنعت؟» قال: كرهت أن أصب دمك، فقال النبي ﷺ: «لا تمسُّك النار». ومسح على رأسه، وقال: «ويل للناس منك وويل لك من الناس»(٢).

سادسًا: التبرك بشعره ﷺ:

عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أتى منى، فأتى الجمرة، فرماها، ثم أتى منزله بمنى ونحر، ثم قال للحلاق: خذ وأشار إلى جانبه الأيمن، ثم الأيسر، ثم جعل يعطيه الناس. وفي رواية: لما رمى الجمرة ونحر نسكه وحلق، ناول الحلاق شقه الأيمن فحلقه، ثم دعا أبا طلحة الأنصاري رضي الله عنه فأعطاه إياه، ثم ناوله الشق الأيسر فقال: احلق، فحلقه فأعطاه أبا طلحة، فقال: «اقسمه بين الناس»(٣).

---

(١) سبق تخريجه في حديث عروة بن مسعود.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣/ ٦٣٨، والدارقطني في سننه ١/ ٢٢٨ واللفظ له، وذكره السيوطي في الخصائص الكبرى.

(٣) رواه مسلم في صحيحه ٢/ ٩٤٨.

وروي أن خالد بن الوليد رضي الله عنه فقد قلنسوة له يوم اليرموك، فطلبها حتى وجدها، وقال: اعتمر رسول الله فحلق رأسه فابتدر الناس جوانب شعره فسبقتهم إلى ناصيته فجعلتها في هذه القلنسوة، فلم أشهد قتالاً وهي معي إلا رزقت النصر[1].

سابعًا: التبرك بموضع فمه وسؤره وأثر يده في الطعام ﷺ:

عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ أُتي بشراب، فشرب منه وعن يمينه غلام، وعن يساره الأشياخ، فقال للغلام: «أتأذن لي أن أعطي هؤلاء؟» فقال الغلام - وهو ابن عباس: والله يا رسول الله لا أوثر بنصيبي منك أحدًا، فتلَّه رسول الله ﷺ في يده[2].

عن أم هانئ رضي الله عنها أن النبي ﷺ دخل عليها يوم الفتح، فأتته بشراب فشرب منه، ثم فضلت منه فضلة، فناولها فشربته، ثم قالت: يا رسول الله، لقد فعلت شيئًا ما أدري يوافقك أم لا. فقال: «وما ذاك يا أمّ هانئ؟» قالت: كنت صائمة فكرهت أن أرد فضلك فشربته. وفي رواية : لقد شربت وأنا صائمة. قال: «فما حملك على ذلك؟!» قالت: من أجل سؤرك لم أكن لأدعه لشيء، لم أكن أقدر عليه، فلما قدرت عليه شربته[3].

عن عميرة بنت مسعود رضي الله عنها : «أنها دخلت على النبي ﷺ هي وأخواتها يبايعنه، وهن خمس، فوجدنه وهو يأكل قديدًا، فمضغ لهن قديدة، ثم ناولني القديدة فمضغتها كل واحدة منهن قطعة فلقين الله، وما وجدن لأفواههن خلوفًا»[4].

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣/ ٣٣٨، والطبراني في الكبير ٤/ ١٠٤.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ١٠/ ٦ ، ومسلم في صحيحه ٣/ ١٦٧ وتلَّه أي وضعه.

(٣) رواه أحمد في مسنده واللفظ له ٦/ ٤٢٤، والطبراني في الكبير ٢٤/ ٤٠٨، والبيهقي في سننه الكبرى ٤/ ٢٧٦.

(٤) رواه الطبراني في الكبير ٢٤/ ٣٤١، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٢/ ٧٠.

حديث أبي عقيل: «سقاني رسول الله ﷺ شربة من سويق شرب أولها وشربت آخرها، فما برحت أجد شبعها إذا جعت، وريها إذا عطشت، وبردها إذا ظمئت»(١).

ثامنًا: التبرك بأظافره ﷺ:

عن محمد بن عبد الله بن زيد أن أباه حدثه أنه: «شهد النبي ﷺ على المنحر ورجلًا من قريش وهو يقسم أضاحي، فلم يصبه منها شيء، ولا صاحبه، فحلق رسول الله ﷺ رأسه في ثوبه، فأعطاه، فقسم منه على رجال، وقلم أظفاره، فأعطاه صاحبه. قال: فإنه لعندنا مخضوب بالحناء والكتم - يعنى شعره»(٢).

«حينما حضرت عمر بن العزيز الوفاة، دعا بشعر من شعر النبي ﷺ وأظفار من أظفاره، وقال: إذا مت فخذوا الشعر والأظفار ثم اجعلوه في كفني»(٣).

تاسعًا: التبرك بعرقه ﷺ:

وقد بوب الإمام مسلم في صحيحه بابًا بعنوان : «باب طيب عرق النبي ﷺ والتبرك به» فأخرج : عن أنس بن مالك قال : «دخل علينا النبي ﷺ، فقال عندنا، فعرق، وجاءت أمي

(١) رواه الطبراني في الأوسط ٣/ ٢٠٢، وعزاه ابن حجر في الإصابة ١/ ٣٥٨ إلى قاسم بن ثابت في الدلائل.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٤/ ٤٢، وابن خزيمة في صحيحه ٤/ ٣٠٠، والحاكم في المستدرك ١/ ٦٤٨، وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وقال عنه شعيب الأرناؤوط – في تعليقه على مسند أحمد : إسناده صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح غير صحابيه فلم يخرج له سوى البخاري وأصحاب السنن، وذكره ابن القيم في زاد المعاد ١/ ٢٣٢.

(٣) الطبقات: ٥/ ٤٠٦، ترجمة عمر بن عبد العزيز.

بقارورة، فجعلت تسلت العرق فيها، فاستيقظ النبي ﷺ، فقال: "يا أم سليم، ما هذا الذي تصنعين؟" قالت: هذا عرقك نجعله في طيبنا وهو من أطيب الطيب»(١).

وفي رواية أحمد: عن أنس بن مالك قال: «كان النبي ﷺ يدخل بيت أم سليم، وينام على فراشها وليست في بيتها، قال: فأتيت يومًا، فقيل لها: هذا النبي ﷺ نائم على فراشك، قالت: فجئت - وذاك في الصيف - فعرق النبي ﷺ حتى استنقع عرقه على قطعة أدم على الفراش، فجعلت أنشف ذلك العرق وأعصره في قارورة، ففزع وأنا أصنع ذلك، فقال: "ما تصنعين يا أم سليم؟" قلت: يا رسول الله، نرجو بركته لصبياننا. قال" أصبت"..»(٢).

وعن أنس رضي الله عنه أيضا قال: «خدمت النبي ﷺ عشر سنين، فما قال لي أف قط، وما قال لشيء صنعته لم صنعته، ولا لشيء تركته لم تركته، وكان رسول الله ﷺ من أحسن الناس خلقًا، ولا مسست خزًّا قط، ولا حريرًا، ولا شيئًا، كان ألين من كف رسول الله ﷺ، ولا شممت مسكًا قط ولا عطرًا كان أطيب من عرق النبي ﷺ »(٣).

عن أبي هريرة رضي الله عنه: «أن رجلًا أتى النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، إني زوجت ابنتي، وإني أحب أن تعينني بشيء. فقال: "ما عندي من شيء، ولكن إذا كان غدًا فتعال، فجئني بقارورة واسعة الرأس، وعود شجر... " إلى أن قال أبو هريرة: فأتاه بقارورة واسعة الرأس، وعود شجر، فجعل يسلت العرق من ذراعيه، حتى امتلأت القارورة. فقال: "خذ، وأمر

(١) رواه مسلم في صحيحه ٤/ ١٨١٤.

(٢) رواه أحمد في مسنده ٣/ ٢٢٦.

(٣) رواه الترمذي في سننه، ٤/ ٣٦٨، وعقبه بقوله: وفي الباب عن عائشة والبراء، وهذا حديث حسن صحيح.

بنتك إذا أرادت أن تطيب أن تغمس هذا العود في القارورة وتطيب به". قال: فكانت إذا تطيبت شم أهل المدينة رائحة ذلك الطيب فسموا بيت المطيبين»[1].

عاشرًا: التبرك والاستشفاء ببوله ﷺ:

عن أم أيمن رضي الله عنها قالت: قام النبي ﷺ من الليل إلى فخارة من جانب البيت، فبال فيها، فقمت من الليل وأنا عطشى، فشربت من في الفخارة، وأنا لا أشعر، فلما أصبح النبي ﷺ قال: «يا أم أيمن، قومي إلى تلك الفخارة فأهريقي ما فيها». قلت: قد والله شربت ما فيها. قالت: فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه ثم قال: «أما إنك لا يفجع بطنك بعده أبدًا»[2].

عن حكيمة بنت أميمة بنت رقيقة عن أمها أنها قالت: كان النبي ﷺ يبول في قدح عيدان، ثم يرفع تحت سريره، فبال فيه، ثم جاء فأراده، فإذا القدح ليس فيه شيء، فقال لامرأة يقال لها بركة كانت تخدم أم حبيبة جاءت بها من أرض الحبشة: «أين البول الذي كان في القدح؟» قالت: شربته فقال: «لقد احتظرت من النار بحظار»[3].

ولنا وقفة مع قصة شرب بول النبي ﷺ من حيث صحة الحديث، ومذاهب الفقهاء في ذلك، وذلك كله فيما يلي من الفصول.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) أخرجه الحاكم في مستدركه ٤/ ٧٠، والطبراني في الكبير ٢٥/ ٨٩.

(٣) رواه البيهقي في سننه الكبرى ٧/ ٦٧، والطبراني في الكبير ٢٤/ ٢٠٥، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٨/ ٢٧٠، وعقبه بقوله: «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن أحمد بن حنبل وحكيمة وكلاهما ثقة».

الحادي عشر: التبرك بلباسه ﷺ:

عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها: «أنها أخرجت إلي جبة طيالسة كسروانية لها لبنة ديباج وفرجيها مكفوفين بالديباج؛ فقالت: هذه كانت عند عائشة حتى قبضت فلما قبضت قبضتها، وكان النبي ﷺ يلبسها، فنحن نغسلها للمرضى يستشفى بها»[١].

عن سهل بن سعد قال: «جاءت امرأة إلى النبي ﷺ ببردة، فقال سهل للقوم: أتدرون ما البردة؟ فقال القوم: هي شملة. فقال سهل: هي شملة منسوجة فيها حاشيتها. فقالت: يا رسول الله، أكسوك هذه. فأخذها النبي ﷺ محتاجًا إليها، فلبسها، فرآها عليه رجل من الصحابة، فقال: يا رسول الله، ما أحسن هذه! فاكسنيها. فقال: "نعم". فلما قام النبي ﷺ لامه أصحابه، قالوا: ما أحسنت حين رأيت النبي ﷺ أخذها محتاجًا إليها ثم سألته إياها، وقد عرفت أنه لا يسأل شيئًا فيمنعه، فقال: رجوت بركتها حين لبسها النبي ﷺ لعلِّي أكفنُ فيها»[٢].

الثاني عشر: التبرك بمكان صلاته ﷺ:

عن عتبان بن مالك رضي الله عنه، وهو ممن شهد بدرًا، قال:«كنت أصلي لقومي بني سالم، وكان يحول بيني وبينهم وادٍ إذا جاءت الأمطار، فيشق علي اجتيازه قبل مسجدهم، فجئت رسول الله ﷺ فقلت له: إني أنكرت بصري، وإن الوادي الذي بيني وبين قومي يسيل إذا جاءت الأمطار فيشق علي اجتيازه، فوددت أنك تأتي فتصلي في بيتي مكانًا أتخذه مصلى، فقال رسول الله ﷺ: "سأفعل إن شاء الله". فغدا علي رسول الله ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه بعدما اشتد النهار، واستأذن رسول الله ﷺ فأذنت له، فلم يجلس حتى قال: "أين تحب أن أصلي من بيتك؟" فأشرت له إلى المكان الذي أحب أن يصلي فيه، فقام رسول الله ﷺ فكبر، وصففنا وراءه فصلى ركعتين ثم سلم، وسلمنا حين سلم»[٣].

---

(١) رواه مسلم في صحيحه ٣/ ١٦٤١.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٥/ ٢٢٤٥.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ٣٩٧.

عن موسى بن عقبة قال: «رأيت سالم بن عبد الله يتحرّى أماكن من الطريق فيصلّي فيها. ويحدّث أنّ أباه كان يصلي فيها، وأنّه رأى النبي ﷺ يصلّي في تلك الأمكنة. وحدّثني نافع عن ابن عمر أنّه كان يصلي في تلك الأمكنة، وسألت سالمًا فلا أعلمه إلاّ وافق نافعًا في الأمكنة كلّها إلاّ أنّهما اختلفا في مسجد بشرف الروحاء»(١).

الثالث عشر: التبرك بما لمسه وموضع يده وفمه ﷺ:

حديث سلمان حين كاتبه مواليه على ثلاثمائة ودية - وهو صغار النخل - يغرسها لهم كلها، تعلق وتطعم، وعلى أربعين أوقية من ذهب، فقام ﷺ وغرسها له بيده إلا واحدة غرسها غيره، فأخذت كلها إلا تلك الواحدة، فقلعها النبي ﷺ وردها فأخذت. وفي رواية: فأطعم النخل من عامه إلا الواحدة، فقلعها رسول الله ﷺ وغرسها فأطعمت من عامها، وأعطاه مثل بيضة الدجاجة من ذهب بعد أن أدارها على لسانه، فوزن منها لمواليه أربعين أوقية، وبقي عنده مثل ما أعطاهم(٢).

حديث ذيال بن عتبة بن حنظلة بن حذيم عن جده وفيه: «قال حنظلة فدنا بي - أي أبوه حذيم - إلى النبي ﷺ، فقال: إن لي بنين ذوي لحى ودون ذلك، وإن ذا أصغرهم، فادع الله له. فمسح رأسه، وقال: "بارك الله فيك، أو بورك فيه". قال ذيال: فلقد رأيت حنظلة يؤتى بالإنسان الوارم وجهه أو البهيمة الوارمة الضرع فيتفل على يديه ويقول: بسم الله. ويضع يده على رأسه ويقول على موضع كف رسول الله ﷺ فيمسحه عليه. وقال ذيال: فيذهب الورم»(٣).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ١٨٣.

(٢) أخرجه البزار ٣/ ٢٦٨ كشف الأستار، وقال الهيثمي في المجمع: رجاله رجال الصحيح. ٩/ ٣٣٧.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده ٥/ ٦٧، والطبراني في الأوسط ٣/ ١٩١، والكبير ٤/ ٦، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٤/ ٢١١، وعقبه بقوله: رواه أحمد ورجاله ثقات.

وعن أبي أيوب الأنصاري ﷺ: «كنا نضع له العشاء ثم نبعث، فإذا ردّ علينا فضله تيممت أنا وأمّ أيوب موضع يده؛ فأكلنا منه نبتغي بذلك البركة، حتّى بعثنا إليه ليلة بعشائه وقد جعلنا له بصلاً وثومًا، فردّه رسول الله ﷺ ولم أرَ ليده فيه أثرًا، فجئته فزعًا، فقلت: يا رسول الله، بأبي أنت وأمّي ردّدت عشاءك ولم أرَ فيه موضع يدك؟ فقال: إنّي وجدت فيه ريح هذه الشجرة، وأنا رجل أناجي فأمّا أنتم فكلوه»(١).

عن عبد الرحمن بن أبي عمرة عن جدة له - يقال لها كبشة الأنصارية: «أن رسول الله ﷺ دخل عليها وعندها قربة معلقة، فشرب منها وهو قائم، فقطعت فم القربة تبتغي بركة موضع في رسول الله ﷺ »(٢).

الرابع عشر: التبرك بآنيته ﷺ:

عن سهل في حديث المرأة التي قالت للنبي ﷺ: أعوذ بالله منك وهي لا تعرفه وفيه: «.. فأقبل رسول الله ﷺ يومئذ حتى جلس في سقيفة بني ساعدة هو وأصحابه، ثم قال: اسقنا - لسهل- قال: فأخرجت لهم هذا القدح، فأسقيتهم فيه. قال أبو حازم: فأخرج لنا سهل ذلك القدح فشربنا فيه. قال: ثم استوهبه بعد ذلك عمر بن عبد العزيز فوهبه له»(٣).

الخامس عشر: التبرك بمنبره ﷺ:

فعن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد القاري: «أنه نظر إلى ابن عمر وضع يده على مقعد النبي ﷺ من المنبر ثم وضعها على وجهه»(٤).

(١) أخرجه الحاكم في مستدركه ٣/ ٥٢١، والبيهقي في دلائل النبوة ٢/ ٥١٠، البداية والنهاية ٣/ ٢٠١، سيرة ابن هشام ٢/ ١٤٤.

(٢) رواه الترمذي في سننه ٤/ ٣٠٦، وابن ماجه في سننه ٢/ ١١٣٢.

(٣) رواه الترمذي في سننه ٤/ ٣٠٦، وابن ماجه في سننه ٢/ ١١٣٢.

(٤) الطبقات: ١/ ٢٥٤، ذكر منبر الرسول، الثقات لابن حبان: ٩.

وعن يزيد بن عبد الله بن قسيط قال: «رأيت ناسًا من أصحاب النبي ﷺ إذا خلا المسجد أخذوا برمانة المنبر الصلعاء التي تلي القبر بميامنهم، ثم استقبلوا القبلة يدعون»[1].

السادس عشر: التبرك بعصاته ﷺ:

عن محمد بن سيرين عن أنس بن مالك: أنّه كانت عنده عصيّة لرسول الله ﷺ فمات فدفنت معه بين جنبه وقميصه[2].

السابع عشر: التبرك بقبره الشريف ﷺ:

ذكر الخطيب ابن جماعة أن عبد الله بن عمر كان يضع يده اليمنى على القبر الشريف، وأن بلالاً رضي الله عنه وضع خديه عليه أيضًا. ورأيت في كتاب السؤالات لعبد الله ابن الإمام أحمد - وذكر ما تقدّم عن ابن جماعة - ثم قال: ولا شك أن الاستغراق في المحبة يحمل على الإذن في ذلك، والمقصود من ذلك كله الاحترام والتعظيم، والناس تختلف مراتبهم في ذلك كما كانت تختلف في حياته، فأُناس حين يرونه لا يملكون أنفسهم بل يبادرون إليه، وأُناس فيهم أناة يتأخرون، والكل محل خير[3].

(١) الطبقات: ١/ ٢٥٤، ذكر منبر الرسول.

(٢) البداية والنهاية: ٦/ ٦.

(٣) وفاء الوفا للسمهودي: ٤/ ١٤٠٥.

المبحث الثاني
ذكر فهم المحدثين وشرَّاح السنة النبوية المطهرة

قد يجادلنا أقوام في فهم هذه الأحاديث، ويحاول بعضهم ادعاء أنها لا تفيد القول بجواز التبرك أو أنها إذا دلت على التبرك فذلك قاصر على حياته ﷺ؛ لذا كان من المناسب نقل فهم أئمة أهل الحديث من شراح السنة النبوية أمثال الإمام النووي، والإمام الذهبي، والحافظ ابن حجر العسقلاني رضي الله عنهم جميعا، لنعلم أن تخصيص ما شرعه النبي ﷺ بحياته يحتاج إلى دليل، والأصل بقاء التشريع في كل الأزمان حتى يرد دليل على اختصاص ذلك بحياته ﷺ. فإن قيل: إن ما ذكر لا يمكن حدوثه إلا في حياته كعرقه ودمه وبوله وغير ذلك. قلنا: هناك من الآثار التي بقيت كمواضع صلاته، وقبره، وإنائه ﷺ، وفيما يلي النقل عن هؤلاء الأئمة الأعلام:

قال **ابن حجر** في تعليقه على حديث تتبع سيدنا ابن عمر أماكن صلاة النبي ﷺ: عُرف من صنيع ابن عمر استحباب تتبع آثار النبي ﷺ والتبرّك بها[(١)].

قال **النووي** في تعليقه على حديث كبشة الأنصارية حينما قطعت فم القربة التي شرب منها رسول الله ﷺ: «وإنما قطعتها لتحفظ موضع فم رسول الله ﷺ، وتتبرك به، وتصونه عن الابتذال»[(٢)].

قال **النووي** عقب حديث القدح الذي شرب منه النبي ﷺ ثم استوهبه عمر بن عبد العزيز: «هذا فيه التبرك بآثار النبي ﷺ وما مسه أو لبسه أو كان منه فيه سبب، وهذا نحو ما أجمعوا

---

(١) فتح الباري، لابن حجر العسقلاني ١/ ٥٧١.

(٢) رياض الصالحين ١/ ٩٧١.

عليه وأطبق السلف والخلف عليه من التبرك بالصلاة في مصلى رسول الله ﷺ في الروضة الكريمة، ودخول الغار الذي دخله ﷺ وغير ذلك. من هذا إعطاؤه ﷺ أبا طلحة شعره ليقسمه بين الناس، وإعطاؤه ﷺ حقوة لتكفن فيه بنته رضي الله عنها، وجعله الجريدتين على القبرين، وجمعت بنت ملحان عرقه ﷺ، وتمسحوا بوضوئه ﷺ، ودلكوا وجوههم بنخامته ﷺ، وأشباه هذه كثيرة مشهورة في الصحيح، وكل ذلك واضح لا شك فيه»(١).

قال **ابن حجر** - عقب حديث صلاته ﷺ لعتبان بن مالك في بيته ليتخذ هذا الموضع مصلى له: «وفيه التبرك بالمواضع التي صلى فيها النبي ﷺ أو وطئها، ويستفاد منه أن من دعي من الصالحين ليتبرك به أنه يجيب إذا أمن الفتنة ويحتمل أن يكون عتبان إنما طلب بذلك الوقوف على جهة القبلة بالقطع»(٢).

قال **النووي** - عقب حديث الاستشفاء بجبة رسول الله ﷺ: «وفي هذا الحديث دليل على استحباب التبرك بآثار الصالحين وثيابهم»(٣).

قال **ابن حجر العسقلاني** عقب حديث الرجل الذي طلب البردة من النبي ﷺ ولامه أصحابه على ذلك: «فيه التبرك بآثار الصالحين»(٤).

قال **ابن حجر العسقلاني** عقب حديث تقسيم شعره الشريف بعد إعطائه لأبي طلحة: «فيه التبرك بشعره ﷺ»(٥).

---

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ١٣/ ١٧٨ - ١٧٩.

(٢) فتح الباري ١/ ٥٢٢.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ١٤/ ٤٤ .

(٤) فتح الباري ٣/ ١٤٤ .

(٥) فتح الباري ٣/ ٢٧٤ .

وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل أنه سأل أباه، فقال: «سألته عن الرجل يمس منبر النبي ﷺ ويتبرك بمسه، ويقبله، ويفعل بالقبر مثل ذلك، أو نحو هذا، يريد بذلك التقرب إلى الله ﷻ، فقال: لا بأس بذلك»(١).

قال الصالحي في الباب الثامن فيما اختص به ﷺ من أمته من الفضائل والكرامات: الحادية عشرة: وبأن النجس منا طاهر منه. الثانية عشر: ويستسقى به. وذكر الأحاديث..... ثم قال: «وموضوع الدلالة من هذه الأحاديث أن النبي ﷺ لم ينكر على ابن الزبير، ولا أم أيمن، ولا من فعل مثل فعلها، ولا أمرهم بغسل الفم، ولا نهاهم عن العود إلى مثله، ومن حمل ذلك على التداوي قيل له قد أخبر ﷺ: «إن الله لم يجعل شفاء أمته فيما حرم عليها» [رواه ابن حبان في صحيحه]. فلا يصح حمل الأحاديث على ذلك، بل هي ظاهرة في الطهارة»(٢).

وقد أورد **القاضي عياض** في كتابه" المدارك" قصة الإمام مالك في امتناعه عن الرواية عن عطاء بن أبي رباح، وأنه قد فاته، وسبب ذلك أن رآه يقبل الحادث من المنبر، فكأن قد ظنه جهلًا، ثم تبين للإمام مالك بعدما كبر سنه وكثر علمه خطأ ما كان يذهب إليه، وصواب ما ذهب إليه عطاء، فكان يتحسر على عدم روايته عن عطاء بالرغم من أنه قد أدركه.

قال **الإمام الذهبي**: «وقد كان ثابت البناني إذا رأى أنس بن مالك أخذ يده فقبلها ويقول: يد مست يد رسول الله ﷺ. فنقول نحن إذ فاتنا ذلك: حجر معظم بمنزلة يمين الله في الأرض مسته شفتا نبينا ﷺ لاثمًا له، فإذا فاتك الحج، وتلقيت الوفد، فالتزم الحاج، وقبل فمه، وقل: فم مس بالتقبيل حجرًا قبله خليلي ﷺ»(٣).

---

(١) العلل لأحمد بن حنبل ٢/ ٤٩٢.

(٢) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد، للصالحي ١٠/ ٤٥٦.

(٣) سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٣.

وقال **الإمام الذهبي**: «وقال مصعب بن عبد الله، حدثني إسماعيل بن يعقوب التيمي، قال: كان ابن المنكدر يجلس مع أصحابه، فكان يصيبه صمات، فكان يقوم كما هو حتى يضع خده على قبر النبي ﷺ، ثم يرجع، فعوتب في ذلك، فقال: إنه يصيبني خطر، فإذا وجدت ذلك استعنت بقبر النبي ﷺ. وكان يأتي موضعًا من المسجد يتمرغ فيه ويضطجع، فقيل له في ذلك فقال: إني رأيت النبي ﷺ في هذا الموضع»[1]. وقد سبق النقل عن الذهبي في المقدمة عن تقبيل قبر النبي صلى الله عليه والتزامه.

ونكتفي بالنقل عن هؤلاء الأئمة، وفي موضع سيأتي سننقل فيه كلام الفقهاء في مسألة طهارة فضلاته ﷺ، فهذا ما كان عليه عقلاء الأمة وأئمتها وفقهاؤها الذين مكن لهم في الأرض وبنوا حضارة الإسلام عبر القرون، والذين وهبهم الله صلاحًا وتقوى وعلمًا وفهمًا، فما الذي حدث لأمة الإسلام والمسلمين حتى ينطق الرويبضة ويتكلم البغاث؟! وليس للمؤمنين إلا أن يقولوا بعد سماعهم هذا الهراء وتلك الضجة: إنا لله وإنا إليه راجعون!

---

(١) سير أعلام النبلاء ٥/ ٣٥٩، ٣٦٠.

الفصل الثاني

طهارته ﷺ في الظاهر والباطن

رسول الله ﷺ طاهر في ظاهره وفي باطنه، وذلك لشق صدره من أجل أن يهيأ إلى الوحي، وملأ قلبه بالحكمة، ومن هنا أصبح دمه طاهرًا، وأصبح بوله طاهرًا، وكل ما يخرج منه فهو طاهر، وهو -- أيضا - غير مستقذر، فعرقه، وريقه، ودمعه، وكل شيء فيه هو طاهر في الظاهر والباطن.

واتفق العلماء على أن هذه الطهارة لم تخرجه عن حد البشرية، ولكنها من خصائصه ومميزاته التي اختص الله بها أنبياءه الكرام وحدهم؛ لأن الأمر يتعلق بالوحي، ويتعلق بجريان المعجزة منهم، صلوات الله عليهم أجمعين.

فكان لرسول الله ﷺ مميزاته التي لم تخرجه عن حد البشرية، ولكنها تؤكد النبوة والرسالة، ومن ذلك:

أن الله ﷻ منَّ عليه بشق صدره في حوادث منها: عندما كان ابن عشر سنين مسترضعًا عند السيدة حليمة السعدية، وفي هذه المرة يقول ﷺ: «إني لفي صحراء ابن عشر سنين وأشهر، وإذا بكلام فوق رأسي، وإذا رجل يقول لرجل: أهو هو؟ قال: نعم. فاستقبلاني بوجوه لم أرها لخلق قط، وأرواح لم أجدها من خلق قط، وثياب لم أرها على أحد قط، فأقبلا إليَّ يمشيان، حتى أخذ كل واحد منهما بعضدي لا أجد لأحدهما مسًّا، فقال أحدهما لصاحبه: أضجعه. فأضجعاني بلا قصر ولا هصر. وقال أحدهما لصاحبه: أفلق صدره، فهوى أحدهما إلى صدري ففلقها فيما أرى بلا دم ولا وجع. فقال له: أخرج الغل والحسد. فأخرج شيئا كهيئة العلقة، ثم نبذها فطرحها. فقال له : أدخل الرأفة والرحمة. فإذا مثل الذي

أخرج يشبه الفضة، ثم هز إبهام رجلي اليمنى. فقال: اغد واسلم، فرجعت بها أغدو رقة على الصغير ورحمة للكبير»(١).

وروى أنس بن مالك رضي الله عنه أن هذا الشق كان بواسطة سيدنا جبريل عليه السلام؛ حيث قال: «إن رسول الله ﷺ أتاه جبريل وهو يلعب مع الغلمان، فأخذه فصرعه، فشق قلبه، فاستخرج منه علقة فقال: هذا حظ الشيطان منك. ثم غسله في طست من ذهب بماء زمزم، ثم لأمه، وأعاده في مكانه، وجاء الغلمان يسعون إلى أمه ـ يعني ظئره ـ فقالوا: إن محمدًا قد قتل فاستقبلوه وهو منتقع اللون»(٢).

قال الحافظ ابن حجر معلقًا على هذه الحادثة: «وقد اشتملت هذه القصة من خوارق العادة على ما يدهش سامعه فضلًا عمن شاهده، فقد جرت العادة بأن من شق بطنه وأخرج قلبه يموت لا محالة، ومع ذلك فلم يؤثر فيه ذلك ضررًا ولا وجعًا، فضلًا عن غير ذلك. قال ابن أبي جمرة: الحكمة في شق قلبه مع القدرة على أن يمتلئ قلبه إيمانًا وحكمة بغير شق الزيادة في قوة اليقين؛ لأنه أعطي برؤية شق بطنه وعدم تأثره بذلك ما أمن معه من جميع المخاوف العادية، فلذلك كان أشجع الناس، وأعلاهم حالًا ومقالًا، ولذلك وصف بقوله تعالى: ﴿ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴾ [النجم: ١٧]» (٣).

وقد شق صدره مرة أخرى قبل أن يعرج به ﷺ، وغسل جوفه عند الكعبة، فعن شريك بن عبد الله بن أبي نمر أنه قال: سمعت أنس بن مالك يقول: «ليلة أسري برسول الله ﷺ من مسجد الكعبة إنه جاءه ثلاثة نفر قبل أن يوحى إليه وهو نائم في المسجد الحرام، فقال أولهم:

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٥/ ١٣٩.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده ٥/ ١٣٩.

(٣) فتح الباري، لابن حجر العقسلاني ٧/ ٢٠٦.

أيهم هو؟ فقال أوسطهم: هو خيرهم. فقال آخرهم: خذوا خيرهم، فكانت تلك الليلة، فلم يرهم حتى أتوه ليلة أخرى - فيما يرى قلبه وتنام عينه ولا ينام قلبه وكذلك الأنبياء تنام أعينهم ولا تنام قلوبهم - فلم يكلموه حتى احتملوه فوضعوه عند بئر زمزم، فتولاه منهم جبريل، فشق جبريل ما بين نحره إلى لبته، حتى فرغ من صدره وجوفه فغسله من ماء زمزم بيده، حتى أنقى جوفه، ثم أتي بطست من ذهب فيه تور من ذهب محشوًّا إيمانًا وحكمة فحشي به صدره ولغاديده يعني عروق حلقه ثم أطبقه ثم عرج به إلى السماء الدنيا»(١).

وهذه تهيئة له لما سوف ينزل عليه من وحي، وما يجري على يديه من معجزات، وما يكلف به من مشاق، وهذا لا يخرجه عن حد البشرية؛ وإنما يهيئه للرسالة والنبوة.

وأنه ﷺ تنام عيناه ولا ينام قلبه، ففي حديث قيام النبي ﷺ في رمضان تقول عائشة رضي الله عنها: فقلت: يا رسول الله، أتنام قبل أن توتر؟ فقال: «يا عائشة، إن عيني تنامان ولا ينام قلبي»(٢).

وكان ﷺ يبيت عند ربه يطعمه ويسقيه، ولذا فكان يواصل الصيام وينهى أصحابه عنه، عن عائشة رضي الله عنها قالت: «نهى رسول الله ﷺ عن الوصال رحمة لهم، فقالوا: إنك تواصل. قال: إني لست كهيئتكم، إني يطعمني ربي ويسقين»(٣).

وكان ﷺ تجري على يده معجزات، فنبع الماء من بين أصابعه: عن جابر بن عبد الله قال: «عطش الناس يوم الحديبية، والنبي ﷺ بين يديه ركوة، فتوضأ، فجهش الناس نحوه، فقال: "ما لكم؟" قالوا: ليس عندنا ماء نتوضأ ولا نشرب إلا ما بين يديك. فوضع يده في

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٦/ ٢٧٣٠.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ٣٨٥، ومسلم في صحيحه ١/ ٥٠٩.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه ٢/ ٦٩٣، ومسلم في صحيحه ٢/ ٧٧٦.

الركوة فجعل الماء يثور بين أصابعه كأمثال العيون، فشربنا وتوضأنا، قلت: كم كنتم؟ قال: لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة»(١).

وكان الحجر يسلم عليه ﷺ، قال ﷺ: «إني لأعرف حجرًا بمكة كان يسلم علي قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن»(٢).

وعن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «كنا مع النبي ﷺ بمكة فخرجنا معه في بعض نواحينا، فمررنا بين الجبال والشجر، فلم نمر بشجرة ولا جبل، إلا قال: السلام عليك يا رسول الله. وفي لفظ: «فجعل لا يمر على شجر ولا حجر إلا سلم عليه»(٣).

ومن ذلك، حب الجذع للنبي ﷺ، وحنينه بصوت كحنين الناقة حتى مسه النبي ﷺ فسكت، فعن أنس بن مالك: «أن رسول الله ﷺ خطب إلى لزق جذع واتخذوا له منبرًا فخطب عليه، فحن الجذع حنين الناقة، فنزل النبي ﷺ فمسه فسكن»(٤).

وأسري به ﷺ، وأمَّ الأنبياء، ثم عرج به إلى السماء، قال تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

عن أنس بن مالك: «أن رسول الله ﷺ قال: أتيت بالبراق - وهو دابة فوق الحمار ودون البغل، يضع حافره عند منتهى طرفه - قال: فركبته، حتى أتيت بيت المقدس. قال: فربطته

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ٣/ ١٣١٠، ومسلم في صحيحه ٤/ ٢٣٠٨، وهو مروي عن أنس وغيره من أصحاب رسول الله ﷺ في الصحيحين.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ٤/ ١٧٨٢.

(٣) أخرجه الدارمي في سننه ١/ ٢٥.

(٤) رواه الترمذي في سننه ٥/ ٥٩٤.

بالحلقة التي يربط به الأنبياء. قال: ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين، ثم خرجت، فجاءني جبريل – عليه السلام – بإناء من خمر وإناء من لبن، فاخترت اللبن، فقال جبريل عليه السلام: اخترت الفطرة. ثم عرج بنا إلى السماء.....إلخ» الحديث (١).

ومن خصائص الأنبياء – عليهم السلام – التي كانت لسيدهم ﷺ أنه ينكشف لهم الغيب، فيرون الملائكة على صورتهم مع سماعهم منهم للوحي الشريف، وهو ما لا يكون أبدًا بإجماع الأمة إلا للأنبياء، فيمكن لبعضهم أن يسمع الصوت ولا يرى الصورة، أو أن يرى شيئًا كهيئة المصابيح ولا يسمع صوتًا، أما الجمع بينهما، فلا يكون إلا لنبي باتفاق أمة الإسلام. ومن ذلك أنه كان ﷺ يرى الأحداث قبل حدوثها في الرؤيا المنامية، وذلك قبل الوحي، عن عائشة أم المؤمنين أنها قالت: «أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء وكان يخلو بغار حراء.....»(٢).

ومن ذلك رؤيته ﷺ لجبريل على هيئته التي خلقه الله عليها، قال رسول الله ﷺ: «رأيت جبريل عند سدرة المنتهى عليه ستمائة جناح، ينثر من ريشه التهاويل والدر والياقوت»(٣).

ومن ذلك رؤيته لإبليس الذي أراد شغله في الصلاة فخنقه ﷺ، فعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ «قام فصلى صلاة الصبح وهو خلفه، فقرأ فالتبست عليه القراءة، فلما فرغ من صلاته قال: لو رأيتموني وإبليس فأهويت بيدي، فما زلت أخنقه حتى وجدت برد

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ١/ ١٤٥.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ١/ ٤، ومسلم في صحيحه ١/ ١٣٩.

(٣) رواه أحمد في مسنده ١/ ٤١٢.

لعابه بين أصبعي هاتين - الإبهام والتي تليها - ولولا دعوة أخي سليمان لأصبح مربوطًا بسارية من سواري المسجد يتلاعب به صبيان المدينة...»(١).

ومن ذلك أنه ﷺ كان يطلع على الجنة والنار، قال ﷺ: «اطلعت على الجنة فكان أكثر أهلها الفقراء.....»(٢).

وكان ﷺ إذا نزل عليه الوحي بركت الدابة تحته، فكيف كان يتحمل هذا إذا لم يكن جسده الشريف متميزًا ومهيئًا بما هيئه الله له؟ فعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان إذا أوحي إليه وهو على ناقته، وضعت جرانها فلم تستطع أن تتحرك، وتلت قول الله عز وجل: ﴿ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلاً ثَقِيلاً ۝ ﴾ [المزمل: ٥]. (٣). وجران الدابة : صدرها.

وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: «كنت إلى جنب رسول الله ﷺ، فغشيته السكينة فوقعت فخذ رسول الله ﷺ على فخذي، فما وجدت ثقل شيء أثقل من فخذ رسول الله ﷺ على فخذي»(٤).

وكان ﷺ من قوة جسده وفرط شجاعته يحتمي به الفرسان من الصحابة الكرام في أشد حالات المعركة، فعن سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: «كنا إذا حمي البأس، ولقي القوم القوم، اتقينا برسول الله ﷺ، فلا يكون أحد منا أدنى إلى القوم منه»(٥). وعن البراء:

(١) رواه أحمد في مسنده ٣/ ٨٢.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ٥/ ١٩٩٥.

(٣) رواه الحاكم في المستدرك ٢/ ٥٤٩ وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٤) رواه أبو داود في سننه ٢/ ١٤، والحاكم في مستدركه ٢/ ٩١.

(٥) رواه الحاكم في المستدرك ٢/ ١٥٥ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

«كنا والله إذا احمر البأس نتقي به، وإن الشجاع منا للذي يحاذى به - يعني النبي ﷺ »[1].

فأي جسد هذا، وهل يخرج سيد الخلق عن البشرية، أم أنهم قوم لا يعلمون؟!

وكان ﷺ وهو بشر، لكنه يوحى إليه، حريصًا على مقتضيات المناجاة بينه وبين ربه، فتراه لا يأكل بعض المباح، مراعاة لمقتضيات هذه المناجاة، فعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه: «كنا نضع له العشاء ثم نبعث، فإذا ردّ علينا فضله تيممت أنا وأمّ أيوب موضع يده فأكلنا منه نبتغي بذلك البركة، حتّى بعثنا إليه ليلة بعشائه وقد جعلنا له بصلاً وثومًا، فردّه رسول الله ﷺ ولم أرَ ليده فيه أثرًا، فجئته فزعًا، فقلت: يا رسول الله، بأبي أنت وأمّي ردّدت عشاءك ولم أرَ فيه موضع يدك؟ فقال: «إنّي وجدت فيه ريح هذه الشجرة، وأنا رجل أناجي فأمّا أنتم فكلوه»[2].

وكان النبي صلى الله عليه مميزًا في قوته، فقد أعطي النبي ﷺ قوة أربعين رجلا؛ فعن أنس بن مالك: «أن رسول الله ﷺ كان يدور على نسائه في الساعة من الليل والنهار، وهن إحدى عشرة. قال: قلت لأنس بن مالك: فهل كان يطيق ذلك؟ قال: كنا نتحدث أنه أعطي قوة أربعين»[3].

ومع ذلك فكان يحتاج إلى الراحة، وكان يجوع، ويأكل الطعام، وقد ذكر ربنا سبحانه وتعالى مسألة أكل الطعام كإشارة على البشرية التي لا تنفي الرسالة، بل تنفي كونه ﷺ من الملائكة، كما جعل ربنا سبحانه وتعالى

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ٣/ ١٤٠٠.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) رواه أبو يعلى في مسنده ٥/ ٤٥٦.

أكل الطعام صفة تنفي الألوهية عن سيدنا عيسى عليه السلام فقال تعالى: ﴿ وَقَالُواْ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي ٱلْأَسْوَاقِ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان: ٧]. وقال سبحانه: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي ٱلْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴾ [الفرقان: ٢٠]. وقال تعالى: ﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [المائدة: ٧٥].

وكان ﷺ يذهب إلى الخلاء، وكان يعلمنا ماذا نقول إذا دخلنا الخلاء، فعن أنس – رضي الله تعالى عنه – قال: كان النبي ﷺ إذا دخل الخلاء قال: «اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث»[١]. وكان إذا جرح نزل الدم منه، فعن أنس – رضي الله تعالى عنه – عن نبي الله ﷺ، قال يوم أحد – وهو يسلت الدم عن وجهه: «كيف يفلح قوم قد شجوا نبيهم وكسروا رباعيته وأدموا وجهه»[٢]. وكان يمرض بالحمى، وكان يتأثر بالسم، فعن السيدة عائشة – رضي الله تعالى عنها – قالت: «إن النبي ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه: يا عائشة، ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر؛ فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم»[٣].

وكان ﷺ مع كل ذلك محفوظًا من الله ومعصومًا من الناس، فلم يسلط أحدٌ على قتله. فكل ذلك يحقق قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ﴾ [الكهف: ١١٠].

(١) رواه البخاري في صحيحه ١/ ٦٦.

(٢) مسند عبد بن حميد ١/ ٣٦٢.

(٣) رواه البخاري في صحيحه ٤/ ١٦١١.

النقل من المذاهب الفقهية على طهارة فضلاته ﷺ

إذا طالعنا مذاهب الأئمة الفقهاء سنجدهم، وكأنهم قد أجمعوا على أن النبي ﷺ طاهر في ظاهره وباطنه، وأن النجس من غيره، طاهر منه صلى الله عليه ومن سائر الأنبياء، وفيما يلي النقل من مذاهب الأئمة الأعلام:

أولاً: النقل من مذهب الحنفية:

قال العلامة ابن عابدين: «فضلاته عليه الصلاة والسلام طاهرة كما جزم به البغوي وغيره وهو المعتمد؛ لأن أم أيمن بركة الحبشية شربت بوله ﷺ فقال: "لن يلج النار بطنك" صححه الدارقطني، وقال أبو جعفر الترمذي: دم النبي ﷺ طاهر؛ لأن أبا طيبة شربه، وفعل مثل ذلك ابن الزبير، وهو غلام حين أعطاه النبي ﷺ دم حجامته ليدفنه فشربه، فقال له النبي ﷺ: "من خالط دمه دمي لم تمسه النار" وهذه الأحاديث مذكورة في كتب الحديث الصحيحة، وذكرها فقهاؤنا وتبعهم الشافعية كالشربيني في شرح الغاية وفقهاء المالكية، والحنابلة فكانت كالمجمع عليها؛ فحيث ثبت أن فضلاته عليه الصلاة والسلام تنجي من النار فكيف من ربي من دمها ولحمها وربي في بطنها، ومن كان أصل خلقته الشريفة منه يدخل النار هذا ما جرى به لسان القلم»(١).

وقال ابن عابدين في حاشيته الشهيرة: «مطلب في طهارة بوله ﷺ [تنبيه] صحح بعض أئمة الشافعية طهارة بوله ﷺ وسائر فضلاته، وبه قال الحنفية كما نقله في المواهب اللدنية عن شرح البخاري للعيني، وصرح به البيري في شرح الأشباه. قال الحافظ ابن حجر:

(١)تنقيح الفتاوى الحامدية، لابن عابدين ٢/ ٣٣١ .

تضافرت الأدلة على ذلك. وعد الأئمة ذلك من خصائصه ﷺ، ونقل بعضهم عن شرح المشكاة لملا علي القاري أنه قال: اختاره كثير من أصحابنا. وأطال في تحقيقه في شرحه على الشمائل في باب [ما جاء في تعطره ﷺ] (قوله : مغلط) لا حاجة إليه مع قوله كذا»[1].

ثانيًا: النقل من مذهب المالكية:

قال الدسوقي: «ولا يدخل الخلاف أجساد الأنبياء؛ إذ أجسادهم بل جميع فضلاتهم طاهرة اتفاقًا حتى بالنسبة لهم؛ لأن الطهارة متى ثبتت لذات فهي مطلقة واستنجاؤهم تنزيه وتشريع، ولو قبل النبوة، وإن كان لا حكم إذ ذاك لاصطفائهم من أصل الخلقة، بل في شرح دلائل الخيرات للفاسي أن المني الذي خلق منه الرسول ﷺ طاهر من غير خلاف»[2].

قال الشيخ عليش: «لا يدخل هذا الخلاف أجساد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ويجب الاتفاق على طهارة أجسادهم، وقد قيل بطهارة حدثه ﷺ؛ فكيف بجسده الشريف ﷺ وذكره في التوضيح، وقال ابن الفرات: الإجماع على طهارة أجساد الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ولا سيما جسد نبينا ﷺ »[3].

قال الرعيني الحطاب: «ص (وبول وعذرة من آدمي) ش: قال المصنف وغيره ويستثنى من ذلك الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؛ فإن الظاهر طهارة ما يخرج منهم؛ لإقراره عليه الصلاة والسلام شاربة بوله والله أعلم»[4].

---

(١) حاشية ابن عابدين ١/ ٣١٨ .

(٢) حاشية الدسوقي على الشرح الكبير ١/ ٥٣.

(٣) منح الجليل شرح مختصر الخليل، للشيخ عليش ١/ ٥١.

(٤) مواهب الجليل شرح مختصر الخليل، للشيخ الحطاب ١/ ١٠٧.

قال القاضي عياض: «فقد قال قوم من أهل العلم بطهارة هذين الحدثين منه ﷺ، وهو قول بعض أصحاب الشافعي حكاه الإمام أبو نصر بن الصباغ في شامله، وقد حكى القولين من العلماء في ذلك أبو بكر بن سابق المالكي في كتابه [البديع في فروع المالكية]، وتخريج ما لم يقع لهم منها على مذهبهم من تفاريع الشافعية، وشاهد هذا أنه ﷺ لم يكن منه شيء كريه ولا غير طيب. ومنه حديث علي رضي الله عنه: «غسلت النبي ﷺ، فذهبت أنظر ما يكون من الميت فلم أجد شيئًا، فقلت: طبت حيًّا وميتًا. قال: وسطعت منه ريح طيبة لم نجد مثلها قط». ومثله قال أبو بكر رضي الله عنه حين قبل النبي ﷺ بعد موته، ومنه شرب مالك ابن سنان دمه يوم أحد، ومصه إياه، وتسويغه ﷺ ذلك له. وقوله: لن تمسه النار. ومنه شرب عبد الله بن الزبير دم حجامته فقال عليه السلام: ويل لك من الناس وويل لهم منك. ولم ينكر عليه. وقد روي نحو من هذا عنه في امرأة شربت بوله، فقال لها: لن تشتكي وجع بطنك أبدًا. ولم يأمر واحدًا منهم بغسل فمه ولا نهاه عن عودة. وحديث هذه المرأة التي شربت بوله صحيح ألزم الدارقطني مسلمًا والبخاري إخراجه في الصحيح»[1].

ونقل عن الإمام أبي بكر بن العربي المالكي موافقته لذلك، فقال: «بول النبي ﷺ ونحوه طاهران»[2]. نقله عنه الملا علي القاري.

هذا، وإن لم يكثر النقل في مذهب المالكية، ولكنهم لم يعترضوا على ما أثبته الأئمة الآخرون.

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض ١/ ٦٤، ٦٥.

(٢) شرح الشفا مطبوع بهامش شرح الخفاجي ١/ ٣٥٤.

ثالثًا: النقل من مذهب الشافعية:

وقد نقل عن المذهب الشافعي وجهان في القول بطهارة فضلات المصطفى ﷺ، إلا أن المحققين اعتمدوا القول بالطهارة، وذكروا أنه مذهب سائر الأئمة من المتقدمين كذلك، إلا أن نقل النووي والرافعي للوجهين جعل المسألة وكأنها محل خلاف، والصحيح على التحقيق القول بطهارة فضلاته ﷺ، حتى إن العيني نبه في شرح البخاري إلى عدم دقة هذه الألفاظ التي توحي بخلاف المجمع عليه، وسننقل كلامه عن قريب في مسألة شعر النبي ﷺ.

قال النووي: «بوله ودمه وسائر فضلاته طاهرة على أحد الوجهين»(١).

قال الرملي في حاشيته على أسنى المطالب: «وقال شيخ الإسلام ابن حجر: تكاثرت الأدلة على طهارة فضلاته، وعد الأئمة ذلك في خصائصه؛ فلا يلتفت إلى ما وقع في كتب كثير من الشافعية مما يخالف ذلك، فقد استقر الأمر من أئمتهم على القول بالطهارة»(٢).

وجاء في فتاوى الرملي: «سئل: هل المعتمد نجاسة فضلاته ﷺ كغيره كما عليه الجمهور وصححه الشيخان أم لا؟

فأجاب بأن المعتمد طهارتها كما جزم به البغوي وغيره، وصححه القاضي حسين وغيره، ونقله العمراني عن الخراسانيين وصححه البارزي والسبكي والشيخ نجم الدين الإسفراييني وغيرهم. وقال البلقيني: وبه الفتوى. وقال ابن الرفعة: إنه الذي أعتقده وألقى الله به. وقال الزركشي: وكذا أقول وينبغي طرده في سائر الأنبياء»(٣).

---

(١) روضة الطالبين، للنووي ٧/ ١٦.

(٢) حاشية الرملي على أسنى المطالب ١/ ١٣

(٣) فتاوى الرملي ١/ ٦٦.

قال الشبراملسي: «(قوله: ويجب الاستنجاء) ينبغي أن محله في غير نبينا ﷺ؛ لأن فضلاته طاهرة، وإنما كان يفعله للتنزه وبيان المشروعية»(١).

جاء في حاشيتي قليوبي وعميرة: «لأن الصحيح أن فضلاته عليه - الصلاة والسلام - كسائر الأنبياء طاهرة»(٢).

قال ابن حجر الهيتمي في الفتاوى الفقهية: «وسئل: عما اعتيد من قول الإنسان لمن يفرغ من شربه: صحة أو نحو ذلك، هل له أصل أو هو بدعة؟

فأجاب بقوله: «يمكن أن يقال أن له أصلا، ويحتج له بقوله ﷺ لأم أيمن لما شربت بوله ﷺ: «صحة يا أم أيمن لن تلج النار بطنك» ووجه القياس أن المختار عند كثير من أئمتنا طهارة فضلاته ﷺ وأن بوله شفاء»(٣).

وقال ابن حجر الهيتمي: «واختار جمع متقدمون ومتأخرون طهارة فضلاته ﷺ وأطالوا فيه»(٤).

وقال شيخ الإسلام زكريا الأنصاري: «(وكان يتبرك ويستشفى ببوله ودمه).... »إلى أن قال: «قال شيخنا المذكور آنفًا: وكأن السر في ذلك ما صنعه الملكان من غسلهما جوفه»(٥).

قال البيجرمي: «هذه الفضلات - من النبي ﷺ - طاهرة كما جزم به البغوي وغيره وصححه القاضي وغيره، وأفتى به شيخي خلافًا لما في الشرح الصغير والتحقيق من النجاسة؛ لأن بركة الحبشية شربت بوله ﷺ فقال: "لن تلج النار بطنك". صححه الدارقطني.

(١) حاشية الشبراملسي على نهاية المحتاج للرملي ١/ ١٤٣.

(٢) حاشيتا قليوبي وعميرة على شرح المحلي على المنهاج ١/ ٨١.

(٣) الفتاوى الفقهية الكبرى، لابن حجر الهيتمي ٤/ ١١٧.

(٤) تحفة المحتاج ١/ ٢٩٦.

(٥) أسنى المطالب ٣/ ١٠٦.

وقال أبو جعفر الترمذي: دم النبي ﷺ طاهر؛ لأن أبا طيبة شربه وفعل مثل ذلك ابن الزبير، وهو غلام حين أعطاه النبي ﷺ دم حجامته؛ ليدفنه فشربه؛ فقال له النبي ﷺ: (من خالط دمه دمي لم تمسه النار)»(١).

رابعًا: النقل عن مذهب الحنابلة:

قال ابن مفلح: «والنجس منا طاهر منه، ذكره في الفنون - يعني ابن عقيل الحنبلي - وغيره»(٢).

قال المرداوي: «والنجس منا طاهر منه. ذكره في الفنون وغيره. وقدمه في الفروع» (٣).

قال البهوتي: « (والنجس منا طاهر منه) ﷺ ومن سائر الأنبياء، وبجواز أن يستشفى ببوله ودمه... قال الحافظ ابن حجر: وكان السر في ذلك ما صنعه الملكان من غسلهما جوفه» (٤).

وقال البهوتي - في أثناء كلامه عن أحكام غسل الميت: « (وسن له تجريده)... إلى أن قال (إلا النبي ﷺ)؛ فغسلوه وعليه قميص يصبون الماء فوق القميص ويدلكون بالقميص دون أيديهم، لمكلم كلمهم من ناحية البيت لا يدرون من هو، بعد أن أوقع الله تعالى عليهم النوم. [رواه أحمد وأبو داود] لطهارة فضلاته ﷺ »(٥).

---

(١) حاشية البيجرمي ١/ ٢٣٣.

(٢) الفروع ٥/ ١٦٤.

(٣) الإنصاف ٨/ ٤٢.

(٤) كشاف القناع للبهوتي ٥/ ٣١.

(٥) دقائق أولي النهى، منصور البهوتي ١/ ٣٤٨.

وقال في الموضوع نفسه: «ولأن فضلاته كلها طاهرة، فلم يخش تنجيس قميصه»(١).

خامسًا: النقل عن مذهب الزيدية:

جاء في كتاب الانتصار على علماء الأمصار ما نصه: «وهذا من جملة الخصائص والكرامات التي أكرمه الله تعالى بها، ولنشر إلى ما تميز به من بني آدم فيما يختص بالنجاسات وجملتها خمس:

الخاصة الأولى: منيه، فإنه طاهر، أشار إلى ذلك الإمام المنصور بالله، فإنه قال: لا يمتنع أن يحكم الله بطهارة مائه حيًّا وميتًا، كما كان له دخول المسجد جنبًا.

والحجة على ذلك: ما رويناه من أحاديث عائشة، فإنها دالة على طهارة منيه، ولهذا فإنها قالت: كنت أفرك المني من ثوب رسول الله. فلو كان نجسًا لكان مفسدًا للصلاة.

الخاصة الثانية: نجوه، فإنه كان لا يرى على وجه الأرض، ولهذا قال: «فضلت بخصال، لا يرى لي نجو، وولدت معذورًا»(٢).. أي مختونًا. فلو رؤي، فهل يحكم بطهارته أم لا؟ والأقرب الحكم بطهارته كالبول.

الخاصة الثالثة : بوله، فإنه طاهر.

والحجة على ذلك: ما روي أن أم أيمن شربت بوله فلم ينكره عليها، وقال لها: «إذن، لا تلج بطنك النار»(٣). فكان في ذلك دليلان، ترك النكير عليها في شربه، وكونه وقع سببًا لنجاتها من النار.

---

(١) كشاف القناع، منصور البهوتي ٢/ ٩١، ٩٢.

(٢) حكاه في [جواهر الأخبار] عن [الانتصار].

(٣) وسيأتي تخريجه باستفاضة في الفصل الخاص بتخريج واقعة شرب امرأة لبول النبي ﷺ.

الخاصة الرابعة: دمه، فإنه طاهر.

والحجة على ذلك: ما روي أن أبا طيبة حجم له، ثم شرب دمه، فقال له: «إذن، لا تتجع بطنك». ففيه أيضًا دليلان: ترك النكير له على شربه، ثم كونه سببًا لئلا يتألم لوجع البطن كما قال.

الخاصة الخامسة: مصله وقيحه: فإنهما طاهران منه.

والحجة في ذلك: هو أنهما جاريان مجرى الدم؛ لكونهما مستحيلين منه، فما طهر من الدم أو عفي عنه أو كان نجسًا منه؛ فهما كذلك من غير تفرقة بينهما، فإذا تقرر ذلك فجميع ما ذكرته من هذه الأشياء نجسة من بني آدم ما خلا رسول الله؛ فإنها طاهرة في حقه؛ لأجل الكرامة والخصوصية التي له من الله تعالى»[1].

وجاء في كتاب البحر الزخار قوله: «أو طاهر منه خاصة، كبوله ودمه ونجوه وستر نجوه»[2].

سادسًا: النقل من مذهب الجعفرية:

قال الحلي: «إنه يتبرك ببوله ودمه، وظاهره الطهارة»[3].

قال ابن شهر آشوب: «فيستفاد تقريره لشرب دمه وبوله، وتقرير المعصوم حجة كفعله، وقوله فالظاهر من سكوت النبي ﷺ وعدم نهيه سيما مع ذكر منافعه، الرضا به المستلزم للطهارة لحرمة شرب النجس وأكله»[4].

(١) الانتصار على علماء الأمصار في تقرير المختار من مذاهب الأئمة وأقاويل علماء الأمة، ليحيى بن حمزة ابن علي بن إبراهيم الحسيني ص ٥٢٣، ٥٢٤.

(٢) البحر الزخار الجامع لمذاهب علماء الأمصار، لأحمد بن يحيى بن المرتضى ص ٢١.

(٣) تذكرة الفقهاء، للحلي في أول الكتاب عند عد جملة فضائل النبي ﷺ.

(٤) المناقب، لابن شهر آشوب.

ملاحظات على ما سبق من النقول:

ونلاحظ على ما ذكرنا أمورًا منها:

١- أننا لم نجد عند السادة الإباضية، ولا عند الفقه الظاهري نصًّا في المسألة، ومعلوم أن خلو المذهب من نص لا يعني أنه يقول بعكس ما هو شائع عند الجمهور، بل بالعكس؛ فإنه عندما يفقد النص في مذهب ينتقل أصحابه إلى تقليد المذاهب المعتمدة الأخرى، وهذه القاعدة يذكرها الإمام السيوطي في كتابه الماتع [الحاوي] حيث قال: «وقد وقع في فتاوى ابن الصلاح أنه سئل عن مسألة لا نص فيها للأصحاب، فأفتى فيها بالمنصوص في مذهب أبي حنيفة وبين ذلك، وقرر النووي في شرح المهذب مسألة (لا نقل فيها عندنا)، وأجاب فيها بمذهب الحسن البصري، وقال: إنه ليس في قواعدنا ما ينفيه. وسئل البلقيني عن مسألة فقال: (لا نقل فيها عندنا). وأجاب فيها بما ذكره القاضي عياض في المدارك، وذكر بعض الأصحاب مسألة (لا نقل فيها عندنا) وأفتى فيها بالمنقول في مذهب الحنابلة، وذكر الزركشي في الخادم مسألة مسح الخف للمحرم، وقال: لا نقل فيها، وأجاب بالمنقول في مذهب المالكية»(١).

٢- نلاحظ في كلام ابن عابدين أنه عبر بقوله: «فكانت كالمجمع عليها» ولم يقل: إن ذلك إجماع، وهذا من دقة أولئك العلماء، ودقة عباراتهم، ولعل سبب ذلك هو:

أ- أن الأصوليين قد اختلفوا في الإجماع بعد الاختلاف هل يعد إجماعًا، قال أبو بكر بن علي الرازي المعروف بالجصاص: «فصل. وإذا اختلفت الأمة في مسألة على قولين، فقال بأحد القولين طائفة، وبالقول الآخر طائفة أخرى مثلها، وكل واحد من الطائفتين ممن يجوز الاعتراض بخلافها، ولا صح

(١) الحاوي في الفتاوي، للسيوطي ١/ ٣٥١.

الإجماع مع وجود الخلاف منها، ثم انقرضت إحدى الطائفتين وبقيت الأخرى - فإن بعض أهل العلم ذكر: أنه إذا كان الاختلاف في شيء جروا فيه إلى تأثيم بعضهم بعضًا، ولم يسوغوا اجتهاد الرأي فيه. فإن الطائفة الباقية يكون إجماعها حجة؛ لأنا قد علمنا أن الطائفة المتمسكة بالحق لا يخلو منها زمان، وهي قد شهدت ببطلان قول الطائفة التي انقرضت، فوجب أن يكون قولها حقًا وصوابًا، ووجب الحكم بفساد قول الطائفة التي انقرضت»[1].

٣- أن الإباضية والظاهرية لم ينصوا على هذه المسألة كما قدمنا، فهل ينعقد الإجماع مع سكوت بعض المجتهدين، وهذا محل خلاف في الأصول، قال الغزالي: «إذا أفتى بعض الصحابة بفتوى وسكت الآخرون لم ينعقد الإجماع، ولا ينسب إلى ساكت قول، وقال قوم: إذا انتشر وسكتوا، فسكوتهم كالنطق حتى يتم الإجماع. وشرط قوم انقراض العصر على السكوت، وقال قوم: هو حجة وليس بإجماع، وقال قوم: ليست بحجة ولا إجماع، ولكنه دليل على تجويز الاجتهاد. والمختار: أنه ليس بإجماع ولا حجة، ولا هو دليل على تجويز الاجتهاد في المسألة، إلا إذا دلت قرائن الأحوال على أنهم سكتوا مضمرين الرضا وجواز الأخذ به عند السكوت»[2].

وقال تقي الدين أبو البقاء الفتوحي: «وقد اختلف العلماء فيما إذا اتفق مجتهدو العصر على فعل فعلوه، أو فعله بعضهم، وسكت الباقون مع علمهم. هل يكون إجماعًا أم لا؟ والأرجح: أنه ينعقد به الإجماع لعصمة

---

(١) الفصول في الأصول، للجصاص ٣/ ٣١٠.

(٢) المستصفى، للغزالي ص ١٥١.

الأمة، فيكون كالقول المجمع عليه، وكفعل الرسول ﷺ. اختاره أبو الخطاب من أصحابنا، وقطع به أبو إسحاق الشيرازي، واختاره الغزالي في المنخول، وصرح به أبو الحسين البصري في المعتمد، وتبعه في المحصول»(١).

قال الزركشي في شروط الإجماع: «الشرط الخامس: ألا يسبقه خلاف، فلو اختلف أهل عصر على قولين، فليس لمن بعدهم الإجماع على أحدهما على المذهب»(٢).

٤- هل يسمى اتفاق المذاهب الأربعة إجماعًا. والمقرر عند العلماء أن هذا من قبيل الإجماعات الخاصة مثل: إجماع علماء الحرمين، أو إجماع الخلفاء الأربعة، أو إجماع المصرين [البصرة والكوفة]، أو إجماع العترة [أهل البيت النبوي الشريف] وكل هذه الإجماعات ليست هي المقصودة في أصول الفقه بإجماع الأمة الذي هو المصدر الثالث من مصادر التشريع عند أهل السنة والجماعة، كما هو مقرر في موضعه من أصول الفقه.

وهذا هو الذي دعا العلامة ابن عابدين بالتعبير بهذه العبارة المتقنة، حتى يتعلم الغوغاء كيف يتعاملون مع المسائل العلمية، وكيف كان سلفنا الصالح يتكلمون، فإن اللغة والفكر وجهان لعملة واحدة، فإذا أهينت اللغة بمثل هذا الاستعمال المسف من قبل الغوغاء، فإن الفكر لا بد أن يكون تافهًا كشأن الألفاظ المستعملة منهم.

(١) شرح الكوكب المنير ص ٢٢٥.

(٢) البحر المحيط، الزركشي ٦/ ٤٧٦.

٥- في كلام ابن عابدين - أيضًا - رد على من استدل بالفطرة السليمة وبالعقل السليم، والسؤال: أية فطرة هذه؟ وقد انعكست الطبائع والعياذ بالله تعالى في عصرنا، حتى لم تعد من قبيل الفطرة السليمة، وأي عقل سليم هذا الذي يخالف عقل الأكابر من السلف الصالح؟ ويخالف القواعد التي تجعل أمور الدين متسقة كلها في نطاق واحد، والتي تربي النفس على الحقائق الإيمانية؟! إنها مهزلة بكل المقاييس، فإنا لله وإنا إليه راجعون!

الفصل الثالث

تخريج واقعة شرب امرأة لبول النبي ﷺ

قضية شرب بول النبي ﷺ مدارها على قصتين:

القصة الأولى: شرب أم أيمن لبول النبي ﷺ

وهذه القصة وردت من طريقين:

الطريق الأول:

وهو: طريق الحسين بن حريث عن يعلى بن عطاء عن الوليد بن عبد الرحمن عن أم أيمن.

وجاء في «تاريخ دمشق» (٤/ ٣٠٣) ما نصه: «أخبرتنا أم المجتبى فاطمة بنت ناصر قالت: قرئ على إبراهيم بن منصور السلمي أنا أبو بكر بن المقرئ، انا أبو يعلى، أنا محمد بن أبي بكر المقدمي، أنا سلم بن قتيبة عن الحسين بن حريث عن يعلى بن عطاء عن الوليد بن عبد الرحمن عن أم أيمن قالت: كان لرسول الله ﷺ فخارة يبول فيها فكان إذا أصبح يقول: «**يا أم أيمن، صبي ما في الفخارة**». فقمت ليلة وأنا عطشى فغلطت فشربت ما فيها؛ فقال النبي ﷺ: «**يا أم أيمن، صبي ما في الفخارة**». فقلت: يا رسول الله، قمت وأنا عطشى فشربت ما فيها. فقال: «**إنك لن تشتكي بطنك بعد يومك هذا**».

وقال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/ ٣٢٦): «وقال الحافظ أبو يعلى: ثنا محمد بن أبي بكر المقدمي ثنا سلم بن قتيبة عن الحسين بن حرب عن يعلى بن عطاء عن الوليد بن عبد الرحمن عن أم أيمن قالت: كان لرسول الله فخارة يبول فيها، فكان إذا أصبح

يقول: «**يا أم أيمن، صبي ما في الفخارة**». فقمت ليلة وأنا عطشى فشربت ما فيها، فقال رسول الله: «**يا أم أيمن، صبي ما في الفخارة**». فقالت: يا رسول الله، قمت وأنا عطشى فشربت ما فيها. فقال: «**إنك لن تشتكي بطنك بعد يومك هذا أبدًا**».

وقال ابن حجر في «الإصابة» (٨/ ١٧١): «وأخرج ابن السكن من طريق عبد الملك بن حصين عن نافع بن عطاء عن الوليد بن عبد الرحمن عن أم أيمن قالت: كان للنبي ﷺ فخارة يبول فيها بالليل؛ فكنت إذا أصبحت صببتها؛ فنمت ليلة وأنا عطشانة فغلطت فشربتها؛ فذكرت ذلك للنبي ﷺ فقال: «**إنك لا تشتكين بطنك بعد هذا**».

الطريق الثاني:

هو طريق أبي مالك النخعي عن الأسود بن قيس عن نبيح العنزي عن أم أيمن:

وإليك بعض الكتب التي ذكرت هذه الطريق:

أخبرنا أحمد بن كامل القاضي ثنا عبد الله بن روح المدائني ثنا شبابة ثنا أبو مالك النخعي عن الأسود بن قيس عن نبيح العنزي عن أم أيمن رضي الله عنها قالت: قام النبي ﷺ من الليل إلى فخارة من جانب البيت؛ فبال فيها فقمت من الليل وأنا عطشى فشربت من في الفخارة، وأنا لا أشعر فلما أصبح النبي ﷺ قال: «**يا أم أيمن، قومي إلى تلك الفخارة فأهريقي ما فيها**». قلت: قد والله شربت ما فيها. قال: فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه ثم قال: «**أما إنك لا يفجع بطنك بعده أبدًا**». أخرجه الحاكم في «مستدركه» (٤/ ٧٠) حديث (٦٩١٢).

حدثنا أبو عمرو بن حمدان ثنا الحسن بن سفيان ثنا إسحاق بن بهلول ثنا شبابة بن سوار ثنا عبد الملك بن حسين أبو مالك النخعي عن الأسود بن قيس عن نبيح العنزي عن أم أيمن قالت: بات رسول الله ﷺ في البيت فقام من الليل فبال في فخارة؛ فقمت وأنا عطشى لم أشعر ما في الفخارة؛ فشربت ما فيها فلما أصبحنا قال لي: «**يا أم أيمن، أهريقي ما في الفخارة**».

قلت: والذي بعثك بالحق شربت ما فيها، فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه، ثم قال: «**أما إنه لا يتجعن بطنك بعده أبدًا**».أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٦٧).

حدثنا الحسين بن إسحاق التستري ثنا عثمان بن أبي شيبة ثنا شبابة بن سوار حدثني أبو مالك النخعي عن الأسود بن قيس عن نبيح العنزي عن أم أيمن قالت: قام رسول الله ﷺ من الليل إلى فخارة في جانب البيت فبال فيها، فقمت من الليل وأنا عطشانة فشربت ما فيها وأنا لا أشعر فلما أصبح النبي ﷺ قال: «**يا أم أيمن، قومي فأهريقي ما في تلك الفخارة**». قلت: قد والله شربت ما فيها. قالت: فضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه، ثم قال: «**أما إنك لا تَتَّجِعِينَ بَطْنَكِ أبدًا**». أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٥/ ٨٩) حديث (٢٣٠). وهذا السند ضعفه الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٢٧١) بأبي مالك النخعي. فأبو مالك النخعي اسمه عبد الملك بن حسين متفق على ضعفه[1].

القصة الثانية: شرب بركة أم يوسف لبول النبي ﷺ

وإليك بعض الكتب التي ذكرت هذه الطريق:

أخبرنا أبو نصر عمر بن عبد العزيز بن عمر بن قتادة ثنا أبو الحسن محمد بن أحمد بن حامد العطار ثنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار ثنا يحيى بن معين عن حجاج عن ابن جريج

---

(١) انظر على سبيل المثال: «التاريخ الكبير» (٥/ ٤١١)، «الجرح والتعديل» (٥/ ٣٤٧)، «الضعفاء والمتروكين» للنسائي ص٦٩، «المجروحين» (٢/ ١٣٤)، «الضعفاء» للعقيلي (٣/ ٢٢- ٢٣)، «الضعفاء والمتروكين» لابن الجوزي (٢/ ١٤٨)، «المغني في الضعفاء» (٢/ ٤٠٤)، «الكاشف» (٢/ ٤٥٦)، «ميزان الاعتدال» (٤/ ٣٩٦)، «تهذيب الكمال» (٣٤/ ٢٤٧)، «تهذيب التهذيب» (١٢/ ٢٤٠)، «تقريب التهذيب» ص٦٧٠، «مجمع الزوائد» (١/ ١٢٥)، (٢/ ١٣)، (٨/ ٢٧١)، «مصباح الزجاجة» (٢/ ١٠٩)، «عمدة القاري» (٢٠/ ١٥٧)، «نصب الراية» (٤/ ٣٨٠)، «التلخيص الحبير» (٣/ ١٩٥)، «البدر المنير» (٨/ ١٣)، «فيض القدير» (٣/ ٣٤٤).

قال: أخبرتني حكيمة بنت أميمة عن أميمة أمها أن النبي ﷺ كان يبول في قدح من عيدان ثم وضع تحت سريره فبال فوضع تحت سريره فجاء فأراده فإذا القدح ليس فيه شيء فقال لامرأة يقال لها بركة كانت تخدمه لأم حبيبة جاءت معها من أرض الحبشة: «**أين البول الذي كان في هذا القدح؟**» قالت: شربته يا رسول الله. أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٦٧) حديث (١٣١٨٤).

حدثنا أحمد بن زياد الحذاء الرقي ثنا حجاج بن محمد عن ابن جريج قال: حدثتني حكيمة بنت أميمة بنت رقيقة عن أمها أنها قالت: كان النبي ﷺ يبول في قدح عيدان ثم يرفع تحت سريره فبال فيه ثم جاء فأراده؛ فإذا القدح ليس فيه شيء؛ فقال لامرأة يقال لها: بركة، كانت تخدم أم حبيبة جاءت بها من أرض الحبشة: «**أين البول الذي كان في القدح؟**» قالت: شربته. فقال: لقد احتظرت من النار بحظار. أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٤/ ١٨٩).

حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل ثنا يحيى بن معين ثنا حجاج بن محمد عن ابن جريج عن حكيمة بنت أميمة عن أمها أميمة قالت: كان للنبي ﷺ قدح من عيدان يبول فيه ويضعه تحت سريره فقام فطلب فلم يجده فسأل فقال: «**أين القدح؟**» قالوا: شربته برة خادم أم سلمة التي قدمت معها من أرض الحبشة. فقال النبي ﷺ: "**لقد احتظرت من النار بحظار**". أخرجه الطبراني في «الكبير» (٢٤/ ٢٠٥).

حدثنا علي بن ميمون العطار ثنا حجاج بن محمد عن ابس جريح قال: أخبرتني حكيمة بنت أميمة عن أمها أن النبي ﷺ كان له قدح من عيدان يبول فيه، ثم يوضع تحت سريره؛ فجاءت امرأة يقال لها: بركة، جاءت مع أم حبيبة من الحبشة فشربته، فطلبه النبي ﷺ فقالوا: شربته بركة. فسألها فقالت: شربته فقال: «**لقد احتظرتِ من النار بحضار**». أو قال: «**جنة**». أو هذا معناه. أخرجه أبو بكر الشيباني في «الآحاد والمثاني» (٦/ ١٢١) حديث (٣٣٤٢).

وجاء في «تاريخ دمشق» (٦٩/ ٥٠- ٥١) ما نصه: «وأخبرنا أبو القاسم تميم بن أبي سعيد، انا أبو سعد محمد بن عبد الرحمن أنبأ أبو عمرو بن حمدان، انا أبو يعلى الموصلي قالا: نا يحيى بن معين أنا حجاج عن ابن جريج قال: حدثتني حكيمة بنت أميمة عن أميمة أمها أن النبي ﷺ كان يبول في قدح من عيدان، ثم يوضع تحت سريره؛ فجاء فأراده فإذا القدح ليس فيه شيء، فقال لامرأة يقال لها: بركة، كانت تخدمه لأم حبيبة جاءت معها من أرض الحبشة: «**أين البول الذي كان في القدح؟**» قالت: شربته يا رسول الله. أخبرنا به أتم من هذا أبو الفتح يوسف بن عبد الواحد، أنا شجاع بن علي، أنا أبو عبد الله بن منده، أنا أبو عمرو أحمد بن محمد بن إبراهيم، أنا هلال بن العلاء، أنا حجاج بن محمد بن جريج أن حكيمة بنت أميمة أخبرته عن أمها أميمة بنت رقيقة قالت: كانت للنبي ﷺ قدح من عيدان يبول فيه ويضعه تحت السرير، فجاءت امرأة يقال لها بركة، قدمت مع أم حبيبة من الحبشة فشربته فطلبه النبي ﷺ؛ فلم يجده فقيل: شربته بركة. فقال لها: «**لقد احتظرت من النار بحظار**».

وقال المزي في «تهذيب الكمال» (٣٥/ ١٥٦) في ترجمة حكيمة بنت أميمة: «وقد وقع لنا حديثها بعلو، أخبرنا بها أبو الحسن ابن البخاري وشامية بنت الحسن بن البكري، قالا: أخبرنا أبو حفص بن طبرزد قال: أخبرنا أبو المعالي عبد الخالق بن عبد الصمد بن البدن قال: أخبرنا أبو الغنائم عبد الصمد ابن علي بن المأمون قال: أخبرنا أبو الحسن علي بن عمر الحربي قال: أخبرنا أحمد بن الحسن بن عبد الجبار الصوفي قال: حدثنا يحيى بن معين قال: حدثنا حجاج عن ابن جريج قال: حدثتني حكيمة بنت أميمة عن أمها أميمة أن النبي ﷺ كان يبول في قدح من عيدان ثم يوضع تحت سريره. قال: فوضع تحت سريره فجاء فأراده فإذا القدح ليس فيه شيء، فقال لامرأة يقال لها: بركة، كانت تخدمه لأم حبيبة جاءت معها من أرض الحبشة: «**أين البول الذي كان في القدح؟**» قالت: شربته يا رسول الله. أخرجاه من حديث حجاج مختصرًا ليس فيه قصة بركة؛ فوقع لنا بدلًا عاليًا، ورواه هلال بن العلاء

الرقي عن حجاج بن محمد نحوه، وزاد في آخره: فقال: "لقد احتظرت من النار بحظار".
«أو جنة أو نحو هذا».

من صحح قصة شرب بركة لبول النبي ﷺ:

١- **الدارقطني**: قال ابن الملقن في «البدر المنير» (١/ ٤٨٥): «وذكر الدارقطني أن حديث المرأة التي شربت بوله صحيح».

٢- **عبد الحق الإشبيلي**: حيث قال: «ومما يلحق بالصحيح - على ما قاله الدارقطني - حديث أميمة بنت رقيقة: «كان للنبي ﷺ قدح من عيدان تحت سريره يبول فيه». «البدر المنير» (١/ ٤٨٥).

٣- **ابن الصلاح**: حيث قال: «هذا حديث ورد متلوِّنًا ألوانًا، ولم يخرج في الكتب الأصول فروي بإسنادٍ جيدٍ عن حكيمة بنت أميمة بنت رقيقة أن النبي ﷺ كان يبول في قدح من عيدان ويوضع تحت السرير، فبال فيه ليلة فوضع تحت السرير، فجاء فإذا القدح ليس فيه شيء، فقال لامرأة يقال لها بركة، كانت تخدمه لأم حبيبة جاءت معها من أرض الحبشة: "البول الذي كان في القدح ما فعل؟" قالت: شربته يا رسول الله. زاد بعضهم فقالت: قمت وأنا عطشانة فشربته، وأنا لا أعلم. وفي رواية لأبي عبد الله بن منده الحافظ: "لقد احتظرت من النار بحظار". فهذا القدر منه اتفقت عليه الروايات، وأما ما اضطربت فيه منه، فالاضطراب مانع من تصحيحه». «البدر المنير» (١/ ٤٨٤- ٤٨٥).

٤- **الهيثمي**: ذكر الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٢٧٠- ٢٧١) حديث حكيمة بنت أميمة عن أمها ثم قال: «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير عبد الله بن أحمد ابن حنبل وحكيمة وكلاهما ثقة».

٥- **السيوطي**: قال السيوطي في «الخصائص الكبرى» (٢/ ٤٤١): «وأخرج الطبراني والبيهقي بسند صحيح عن حكيمة بنت أميمة عن أمها قالت: كان للنبي ﷺ قدح من عيدان يبول فيه ويضعه تحت سريره فقام؛ فطلبه فلم يجده فسأل عنه فقال: "أين القدح؟" قالوا: شربته برة خادم أم سلمة التي قدمت معها من أرض الحبشة. فقال النبي ﷺ: «لقد احتظرت من النار بحظار».

الكلام حول التي شربت بول النبي ﷺ هل امرأة واحدة أم اثنتان؟

قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٥/ ٣٢٦): «وقال الحافظ أبو يعلى ثنا محمد بن أبي بكر المقدمي ثنا مسلم بن قتيبة عن الحسين بن حرب عن يعلى بن عطاء عن الوليد بن عبد الرحمن عن أم أيمن قالت: كان لرسول الله فخارة يبول فيها؛ فكان إذا أصبح يقول: "يا أم أيمن صبي ما في الفخارة". فقمت ليلة وأنا عطشى فشربت ما فيها؛ فقال رسول الله: "يا أم أيمن صبي ما في الفخارة". فقالت: يا رسول الله، قمت وأنا عطشى فشربت ما فيها. فقال: إنك لن تشتكي بطنك بعد يومك هذا أبدًا. قال ابن الأثير في أسد الغابة: وروى حجاج بن محمد عن ابن جريج عن حكيمة بنت أميمة عن أمها بنت رقيقة قالت: كان للنبي قدح من عيدان يبول فيه فيضعه تحت السرير؛ فجاءت امرأة اسمها بركة فشربته فطلبه فلم يجده فقيل: شربته بركة. فقال: "لقد احتظرت من النار بحظار". قال الحافظ أبو الحسن ابن الأثير: وقيل: إن التي شربت بوله عليه السلام إنما هي بركة الحبشية التي قدمت مع أم حبيبة من الحبشة، وفرق بينهما فالله أعلم».

وقال ابن حجر في «الإصابة» (٨/ ١٧١ - ١٧٢): «وأخرج ابن السكن من طريق عبد الملك ابن حصين عن نافع بن عطاء عن الوليد بن عبد الرحمن عن أم أيمن قالت: كان للنبي ﷺ فخارة يبول فيها بالليل؛ فكنت إذا أصبحت صببتها فنمت ليلة وأنا عطشانة؛ فغلطت فشربتها؛ فذكرت ذلك للنبي ﷺ؛ فقال: "إنك لا تشتكين بطنك بعد هذا". قلت: وهذا يحتمل أن تكون قصة أخرى غير القصة التي اتفقت لبركة خادم أم حبيبة، كما تقدم في ترجمتها، لكن ادعى ابن السكن أن بركة خادم أم حبيبة كانت تكنى - أيضًا - أم أيمن أخذًا من هذا الحديث».

وقال الحافظ ابن حجر في «التلخيص الحبير» بعد أن أورد حديث أبي مالك النخعي وضعفه: «وله طريق أخرى رواها عبد الرزاق عن ابن جريج، أُخبرت أن النبي ﷺ كان يبول في قدح من عيدان، ثم يوضع تحت سريره؛ فجاء فإذا القدح ليس فيه شيء؛ فقال لامرأة يقال لها بركة كانت تخدم أم حبيبة جاءت معها من أرض الحبشة: "أين البول الذي كان في القدح؟" قالت: شربته. قال: "صحة يا أم يوسف". وكانت تكنى أم يوسف؛ فما مرضت قط حتى كان مرضها الذي ماتت فيه، وروى أبو داود عن محمد بن عيسى بن الطباع، وتابعه يحيى بن معين كلاهما عن حجاج عن ابن جريج عن حكيمة عن أمها أميمة بنت رقيقة أنها قالت: كان لرسول الله ﷺ قدح من عيدان تحت سريره يبول فيه بالليل. وهكذا رواه ابن حبان والحاكم، ورواه أبو ذر الهروي في مستدركه الذي خرجه على إلزامات الدارقطني للشيخين، وصحح ابن دحية أنهما قضيتان وقعتا لامرأتين، وهو واضح من اختلاف السياق، ووضح أن بركة أم يوسف غير بركة أم أيمن مولاته، والله أعلم».

وجاء في «البدر المنير» (١/ ٤٨١- ٤٨٩) ما نصه: الحديث التاسع: أن أم أيمن شربت بوا
النبي رسول الله ﷺ فقال: «إذن لا تلج النار بطنك. ولم ينكر النبي ﷺ عليها». هذا الحديث
رواه الحاكم أبو عبد الله في المستدرك، والدارقطني في سننه، وقال في علله: إنه مضطرب وأ
الاضطراب جاء من جهة أبي مالك النخعي راويه وأنه ضعيف. وقال ابن دحية في كتاب
الآيات البيِّنات: رواه عبد الرزاق عن العدل ابن جريج قال أخبرت أن النبي ﷺ كان يبول
في قدح من عَيْدان ثمَّ يوضع تحت سريره قال: فَوُضِعَ تحت سريره؛ فجاء فأراده فإذا القد
ليس فيه شيء، فقال لامرأة يقال لها بركة - كانت تخدم لأم حبيبة جاءت معها من أرض
الحبشة: "أين البول الذي كان في القدح؟" قالت: شربته. قال: "صحة يا أم يوسف" -
وكانت تُكَنَّى أم يوسف - فما مَرضَت قط حتَّى كان مرضها الذي ماتت فيه.

قال ابن دحية: إنْ كان عبد الرزاق قال: أُخبرت. فقد أسنده يحيى بن معين عن حجاج عن
ابن جريج عن حكيمة عن أمها أميمة قال: وفي الطبراني عن ابن شهاب قال: كانت أم أيمن - أم أسامة -
من الحبشة حاضنة رسول الله ﷺ؛ فقامت ليلاً وهي عطشانة بعدما بال ﷺ في فَخَّارة... (الحديث).

وقال الشيخ تقي الدين في الإمام: رواه الطبراني من حديث أبي مالك النخعي عن الأسود
ابن قيس عن نُبَيْح العنزي عن أم أيمن، قَالَت: قام رسول الله ﷺ من الليل إلى فَخَّارة في
جانب البيت؛ فبال فيها فقمت من الليل، وأنا عطشانة فشربت ما فيها، وأنا لا أشعر فلم
أصبح النبي ﷺ قال: "يا أم أيمن، قومي فأهريقي ما في تلك الفخارة". قلت: قد والله شَرِبْتُ
ما فيها. قالت: فضحك رسول الله ﷺ حتَّى بدت نواجذه ثم قال: "أما إنَّه - والله -
لا يَيجَعَنَّ بطنك أبدًا". وكذا رأيته أنا في أكبر معاجمه. قال الشيخ: أبو مالك النخعي ضعَّفه
الرازيان أبو حاتم وأبو زرعة، وقال يحيى: ليس بشيء. والأسود بن قيس ثقة وثَّقه يحيى
وأبو حاتم. ونبيح العنزي سُئِلَ أبو زرعة عنه فقال: كوفي ثقة لم يرو عنه غير الأسود
ابن قيس. قال: وينبغي أن يُنْظَر في اتصال هذا الإسناد فيما بين نبيح وأم أيمن؛ فإنَّهم اختلفوا
في وقت وفاتها فروى الطبراني عن الزهري أنها توفِّيَتْ بعد رسول الله بخمسة أشهر. قلت:
وقيل: سنة حكاه ابن الأثير، وقال الواقدي: توفيت في خلافة عثمان وهو شاذ.

وقال الشيخ: وروي في الحديث أنها عاشت بعد عمر بن الخطاب. وقالت يوم قتله: اليوم وَهَى الإِسلام. قال: فإنْ كان الأمر على ما نَقَل الزهري يدركها نبيح، وإنْ كان الآخر فيُنظر في ذلك.

وقال الشيخ تقي الدين ابن الصلاح في كلامه على الوسيط - عند قول حجة الإِسلام فيه - رُوي أن أم أيمن شربَتْ بول النبي ﷺ ولم ينكر عليها، وقال: "إذن، لا تلج النار بطنك". هذا حديث ورد متلوِّنًا ألوانًا، ولم يخرج في الكتب الأصول فروي بإسنادٍ جيدٍ عن حكيمة بنت أميمة بنت رقيقة أن النبي ﷺ كان يبول في قدح من عيدان، ويوضع تحت السرير؛ فبال فيه ليلة فوضع تحت السرير فجاء، فإذا القدح ليس فيه شيء؛ فقال لامرأة يقال لها بركة - كانت تخدمه لأم حبيبة جاءت معها من أرض الحبشة: "البول الذي كان في القدح ما فعل؟" قالت: شربته يا رسول الله. زاد بعضهم: فقالت: قمت وأنا عطشانة؛ فشربته، وأنا لا أعلم. وفي رواية لأبي عبد الله بن منده الحافظ: "لقد احتظرت من النار بحظار".

فهذا القدر منه اتفقت عليه الروايات، وأما ما اضطربت فيه منه فالاضطراب مانع من تصحيحه. قلت: وأمر آخر، وهو جهالة حكيمة بنت أميمة؛ فإنَّه لا يُعرف لها حال. قال: وذكر الدارقطني أن حديث المرأة التي شربت بوله صحيح. قلت: لعله قاله تبعًا لعبد الحق حيث قال: ومما يلحق بالصحيح - على ما قاله الدارقطني - حديث أميمة بنت رقيقة كان للنبي ﷺ قدح من عيدان تحت سريره يبول فيه. واعترض عليه ابن القطان بأن قال: لَمْ يقض عليه الدارقطني بصحة، ولا يصح له ذلك، إنما ذكر أنها فيمن يلزم الشيخين إخراج حديثها ولم ينصّ في حكيمة بتعديل ولا تجريح؛ فالحديث متوقف الصحة على العلم بحال حكيمة فإنْ ثبت ثقتها ثبتت روايتها، وهي لم تثبت واعتماد الدارقطني في ذلك غير كاف.

قلت: قد ذكرها ابن حبان في ثقاته فثبتت والحمد لله. قال الشيخ تقي الدين قال وروى أبو نعيم الحافظ في كتابه حلية الأولياء من حديث الحسن بن سفيان صاحب المسند: بإسناد عن أم أيمن قالت: بات رسول الله ﷺ في البيت فقام من الليل فبال في فَخَّارة، فَقُمْتُ وأنا عطشى لم أشعر ما في الفَخَّارة فشربت ما فيها، فلما أصبحنا قال لي: "يا أم أيمن، أريقي ما في الفخارة". قلت: والذي بعثك بالحق شربتُ ما فيها؛ فضحك رسول الله ﷺ حتَّى بَدَت نواجذه، ثم قال: "إنَّه لا يَيْجَعَنَّ بطنك بعده أبدًا".

قلت: وهذا اللفظ هو لفظ الحاكم أبي عبد الله في المستدرك في ترجمتها، لكن بإسناد الطبراني المتقدم سواء. قال الشيخ تقي الدين ابن الصلاح: فالاستدلال بذلك إذن يحتاج إلى أن يُقال فيه: لم يأمرها النبي بغسل فمها ولا نهاها عن عودة. قال: وكون المرأة أم أيمن مولاة رسول الله قد يُظنُّ من حيث إن اسمها بركة، وفي الحديث تسمية المرأة الشاربة بركة، ولا يثبت ذلك بذلك؛ فإنَّ في الصحابيات أُخرى اسمها بركة بنت يسار مولاة أبي سفيان بن حرب هاجَرَتْ إلى أرض الحبشة، وما في الحديث من نسبتها إلى أم حبيبة بنت أبي سفيان يدل على أنها بنت يسار. قال: ويجوز في قوله: (النار) النصب مع الرفع في قوله: (بطنك)، ويجوز العكس. قلت: حكى ابن الأثير خلافًا في أنَّ أم أيمن بركة - مولاة رسول الله وحاضنته - هي التي شَرِبَتْ بوله أو بركة جارية أم حبيبة. وبالأول جزم أبو نعيم في معرفة الصحابة في ترجمتها.

وذكر الطبراني في أكبر معاجمه من طريقين أنَّ الذي شربه برة خادم أم سلمة بعد أن عقد ترجمتها وهو غريب. وقال ابن عبد البر: لعل بركة هذه - يعني المتقدمة - أم أيمن. قال ابن دحية في كتابه الآيات البينات: ليس كذلك إنما هي بركة بنت يسار مولاة أبي سفيان بن

صخر بن حرب، هاجرت إلى أرض الحبشة مع زوجها قيس بن عبد الله الأسدي. قال: والعجب من ابن عبد البر؛ حيث ذَكَرَها مع زوجها في حرف القاف، ثم شكَّ الآن فيها وظنَّها أم أيمن، وأم أيمن هي بركة بنت ثعلبة زوج عبيد الحبشي تُعرف بأم الظباء، هاجرت الهجرتين وصلت القبلتين، وابنها أيمن قُتل شهيدًا يوم حنين.

وقال: وظهر مما قلناه أن في ذلك قصتين؛ إحداهما في قدح من عيدان والراوية أم يوسف، والثانية في فَخَّارة والراوية أم أيمن بركة بنت ثعلبة، وإنَّما أشكل ذلك على الرواة من حيث إن اسم كل واحدة منهما بركة، وكلتاهما من الموالي؛ فهذه مولاة رسول الله وتلك مولاة أبي سفيان، وكلتاهما ممن هاجر إلى أرض الحبشة من النساء مع الأزواج؛ فاشتبه أمرهما وقد تبيَّن الفرق بينهما. قال: وقوله: "لا يَيْجَعَنَّ بطنك". على مثال لا تشتكين. قال اللغويون: هو اسم لجميع المرض كله».

الخلاصة

إن قصة شرب بول النبي ﷺ قد وردت لامرأتين:

المرأة الأولى: أم أيمن مولاة رسول الله ﷺ، ورواية أم أيمن وردت من طريقين؛ **أحدهما:** طريق أبي مالك النخعي عن الأسود بن قيس عن نبيح العنزي عن أم أيمن، وأبو مالك النخعي متفق على ضعفه، **والثاني:** طريق الحسين بن حريث عن يعلى بن عطاء عن الوليد بن عبد الرحمن عن أم أيمن، وقد أخرجه أبو يعلى وابن عساكر في «تاريخ دمشق»، ولم يتكلم أحد على هذا الطريق.

والمرأة الثانية: بركة بنت يسار مولاة أبي سفيان بن حرب، وحديثها قد صححه كل من الدارقطني وعبد الحق الإشبيلي وابن الصلاح والهيثمي والسيوطي.

ولم أقف على قولٍ لأحد من العلماء ينكر ثبوت قصة شرب بول النبي ﷺ، ومن ثم فإن قصة شرب بول النبي ﷺ ثابتة بلا خلاف.

خاتمة في حب الصحابة - رضوان الله عليهم - لرسول الله ﷺ

أحب الصحابة رسول الله ﷺ بطريقة مختلفة لم يعها كثير من المعاصرين، وهذا الحب له علاقة بقوة الانتماء، وله علاقة بدرجة الإيمان، وله علاقة بالسلوك العام، وبالجمال الداخلي وبالذوق الشخصي. كان حبهم له يؤدي بهم إلى الاحترام وإلى الطاعة وإلى الرحمة التي نزعت من قلوب كثير من الناس الآن، كان حبهم له ﷺ لا يقتصر على الاقتناع العقلي، ولا على الالتزام الشعائري، بل يحبونه أكثر من أنفسهم، وأبنائهم وآبائهم وعشيرتهم. ومن خلال أحبوا الله ﷻ، فنقت فطرتهم، وخلصت ضمائرهم.

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾[التوبة :٢٤].

وقال ﷺ: «والذي نفسي بيده، لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين» [رواه البخاري]. وعن زهرة بن معبد عن جده قال: «كنا مع النبي ﷺ، وهو آخذ بيد عمر بن الخطاب. فقال له عمر: والله لأنت يا رسول الله أحب إلي من كل شيء إلا نفسي. فقال النبي ﷺ: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه » فقال عمر: فلأنت الآن والله أحب إلي من نفسي. فقال رسول الله ﷺ: « الآن يا عمر » [رواه البخاري].

وأول ما نزل المدينة خصصت أم سليم بنت ملحان ابنها أنس بن مالك ليكون خادمًا ومرافقًا للنبي ﷺ؛ فكان ذلك هو عز أنس وشرفه إلى أن مات، وفي يوم أحد نزلت أم سليم

رض المعركة بعد انكشاف المسلمين، وأخذت ترد المشركين عن رسول الله ﷺ هي زوجها أبو طلحة رضي الله تعالى عنهما.

وكان أبو بكر أثناء رحلة الهجرة يتقدم رسول الله ﷺ ثم يأتي عن يمينه ثم يأتي عن شماله م يأتي من خلفه خوفًا عليه أن يأتيه مكروه، وهذا حب عجيب يشبه حب الأم لابنها، وكان حب أبي بكر - رضي الله تعالى عنه - أعظم من حب الأم لابنها، وتعجب عروة بن مسعود في صلح الحديبية عندما رجع يخبر أهل مكة بعلاقة صحابة رسول الله ﷺ به فقال: «أي قوم، والله لقد وفدت على الملوك، ووفدت على قيصر، وكسرى، والنجاشي، والله إن ما رأيت ملكًا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد ﷺ محمدًا، والله إن تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم، فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيمًا له»(١).

قد يأنف بعض المعاصرين عندما يسمعون مثل هذا، ونحن لا نجادله في أنفته هذه؛ إنما عليه أن يعلم مدى حب هؤلاء الناس لسيد الخلق، وألا ينكر عليهم ذلك، وإذا كان الله سبحانه وتعالى لم يأذن له بعد في أن يعرف رسول الله ﷺ، فلا عليه إلا أن يسكت حتى يصل إلى قريب من ذلك الحب، لا أن ينكر على الصحابة أو علينا رواية هذه المفاتيح التي عندما افتقدناها ظهر شيطان الشر والإرهاب والتطرف والدم.

---

(١) رواه البخاري في صحيحه.

إنها منظومة واحدة؛ إما الحب، وإما احتمال التعرض الجارف للكراهية. «وكان النبي ﷺ خل بيت أم سليم، فينام على فراشها - وليست فيه - قال: فجاء ذات يوم فنام على شها، فأتيت فقيل لها: هذا النبي ﷺ نام في بيتك على فراشك. قال: فجاءت، وقد عرق ستنقع عرقه على قطعة أديم، ففتحت عتيدتها فجعلت تنشف ذلك العرق فتعصره في اريرها، ففزع النبي ﷺ، فقال: ما تصنعين يا أم سليم؟ فقالت: يا رسول الله، نرجو بركته صبياننا قال: أصبت»[1].

وعن أسماء بنت أبي بكر: «أن النبي ﷺ احتجم، فدفع دمه إلى ابني فشربه، فأتاه جبريل عليه السلام خبره، فقال: ما صنعت؟قال: كرهت أن أصب دمك. فقال النبي ﷺ: «لا تمسك النار، مسح على رأسه، وقال: ويل للناس منك، وويل لك من الناس»[2] فرسول الله ﷺ لم يأمره ن يفعل هذا، لكنه لم يستفظع ما فعل كما هو مردود ذلك عند بعض المعاصرين مما يضطرهم لى إنكار الحديث أو إلى السخرية من هذا الحب العميق.

وعندما أخطأت أم أيمن- كما ذكرنا - وظنت أن بوله ﷺ ماء فشربته، وهو لم يأمرها ذلك. قال لها: «هذه بطن لا تجرجر في النار». أخرجه ابن السكن في صحيحه. كما أشار إلى ذلك ابن حجر العسقلاني في الإصابة.

وخلاصة ما سبق كله أن بعض الناس يريد أن يرى النبي ﷺ مساويًا لهم في البشرية، ويأخذ في التأكيد على ذلك حتى يستقر في الأذهان أنه قد استوت الرؤوس، وهو قول فلول الشيوعيين، والمتخفين من الملاحدة، وأصحاب المذهب المادي؛ ولذلك تراهم عندما يقرءون

---

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه الدار قطني في سننه.

الآية أو يستدلون بها يقولون: ﴿ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ [الكهف: ١١٠]، كشأنهم وهم يقف على قوله تعالى: ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴾ [الماعون: ٤]، أو كشأنهم وهم يقولون: ﴿ لَا تَقْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ [النساء: ٤٣]، وكل ذلك لعب وتدليس وتلبيس.

فالنبي ﷺ كان بشرًا، وكان مثلنا في بشريته، ولكنه كان يوحى إليه، وهذا الوحي است أن يهيأ جسده الشريف لتحمل تبعات التلقي، واستقبال هذا الاتصال المبارك، فكشفت الأكوان، فرأى الملائكة، والجن، وتحمل جسده رحلة الإسراء والمعراج، وشق صد الشريف، وجرت المعجزات على يديه، ونامت عيناه ولم ينم قلبه، وبات عند ربه يطع ويسقيه، وانكشفت له الأسرار، وتنزلت عليه الأنوار مما استلزم دون الخروج عن بشريته يختص بخصائص، وأن يكون لجسده مميزات، هذا في الظاهر، وفي الباطن كلف بتكالي وتحمل مجهودًا ومشقة لا يتحملها الرجل المعتاد، ففرض عليه قيام الليل، وتكفل بالمؤمن من حوله، فكان حقًّا صخرة الكونين[١] [كون الشهادة وكون الغيب]، وكان حقًّا كما ك يقول لهم: "أنا منكم مثل الوالد للولد"[٢]. وكما وصفه ربه: ﴿ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّ فَيَسْتَحْيِۦ مِنكُمْ ۖ وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْيِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ ﴾ [الأحزاب: ٥٣] وكان إذا مرض - والمرض من صفات البشر- وعك على أشد ما يكون على رجلين، وكان إذا اشتد الوطيس احتم الفرسان المقاتلون به ﷺ، وكانوا يتحدثون فيما بينهم أنه أوتي قوة أربعين رجلًا، لكنه جر وكشح، وجاع ومرض، وسُحر وأُجهد، وغضب ورضي ﷺ، ليكون لنا وليس للملائك الكرام وحدهم أو لعالم الغيب دون عالم الشهادة أسوة حسنة.

---

(١) وذلك لقوله ﷺ في حديث الشفاعة الطويل الذي أخرجه البخاري وغيره: «أنا لها، أنا لها».

(٢) أخرجه عبد الرازق في مصنفه، والذي في سننه.

أهمية هذا البحث أنه يجعل المؤمن متسقًا مع عقيدته وعقله وتفكيره المستقيم، وفطرته السليمة من غير فجوات تحدث في النفوس بناء على إلحاد الملحدين وإنكار المنكرين واضطراب المضطربين واختلال المختلين؛ فلا ننكر المعجزة ولا الوحي ولا المنقول ولا التراث مع حب شديد من القلب لرسول الله ﷺ سيد الكائنات، وسيد الخلق أجمعين.

ومن أراد أن يعترض فليحاكم الحب، ومن أراد أن يعترض فليتهم نفسه بفقدان رؤية الخصوصية، ومن أراد أن يعترض فليعرف أنه قد اقترب من الإنكار، وابتعد عن الإيمان بقدر تمسكه بما يحجبه عن رؤية الحقائق الربانية والمنح الصمدانية والكرائم الإلهية.

فإن فضل رسول الله ليس له حد ... فيعرب عنه ناطق بفم
كالزهر في ترف والبدر في شرف ... والبحر في كرم والدهر في همم

* * *

أبا الزهراء قد جاوزت قدري ... بمدحك بيد أن لي انتسابا
مدحت المالكين فزدت قدرًا ... وحين مدحتك اجتزت السحابا

* * *

ومما زادني شرفًا وتيهًا ... وكدت بأخمصي أطأ الثريَّا
دخولي تحت قولك يا عبادي ... وأن صيرت أحمد لي نبيًّا

صدر للمؤلف

أ- في مجال تحقيق كتب التراث:

- حياة الأنبياء في قبورهم - للإمام الحافظ أبي بكر البيهقي - نشر مكتبة الإيمان بالمنصورة سنة ١٩٩٢م.
- إنباء الأذكياء بحياة الأنبياء - للحافظ جلال الدين السيوطي - نشر مكتبة الإيمان بالمنصورة سنة ١٩٩٣م.
- تحفة الذاكرين - للإمام الشوكاني - نشر مكتبة الإيمان بالمنصورة سنة ١٩٩٤م.
- عدة الصابرين - للإمام ابن قيم الجوزية - نشر مكتبة الإيمان بالمنصورة سنة ١٩٩٤م.
- أُنس الفقير وعِز الحقير في التعريف بالشيخ أبي مدين وأصحابه - لشهاب الدين القسطنطيني - نشر دار المقطم بالقاهرة سنة ٢٠٠٢م.
- الأسمى فيما لسيدنا محمد من الأسما - للإمام يوسف النبهاني - نشر دار المقطم بالقاهرة سنة ٢٠٠٤م.
- الفتح الرباني والفيض الرحماني - للإمام الشيخ عبد القادر الجيلاني - نشر دار المقطم بالقاهرة سنة ٢٠٠٦م.
- فتوح الغيب - للإمام الشيخ عبد القادر الجيلاني - نشر دار المقطم بالقاهرة سنة ٢٠٠٧م.
- المقامات العلية في النشأة الفخيمة النبوية - للشيخ محمود خطاب السبكي مؤسس الجمعية الشرعية - نشر دار المقطم بالقاهرة سنة ٢٠٠٧م.

- جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام - للإمام ابن قيم الجوزية - نشر دار المقطم بالقاهرة سنة ٢٠٠٦م.
- الأساليب البديعة في بيان فضل الصحابة وإقناع الشيعة - للإمام يوسف النبهاني - نشر دار المقطم بالقاهرة سنة ٢٠٠٨م.
- المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى - للإمام أبي حامد الغزالي - نشر دار المقطم بالقاهرة سنة ٢٠٠٨م.
- الطب النبوي - للإمام ابن قيم الجوزية - نشر دار المقطم بالقاهرة سنة ٢٠٠٨م.
- الكبائر - للإمام الذهبي - نشر دار المقطم بالقاهرة سنة ٢٠٠٨م.
- قصص الأنبياء - للإمام ابن كثير - نشر دار المقطم بالقاهرة سنة ٢٠٠٨م.

ب- في مجال الأبحاث والمقالات:

- التبرك بآثار الصالحين ١-٢ بحث نُشر بمجلة المسلم.
- إشراقات الروح البرزخية ١-٢ بحث نُشر بمجلة المسلم.
- نعت الأولياء الصالحين - مقال نُشر بمجلة المسلم.
- الأحاديث الموضوعة وأثرها السيئ في الأمة الإسلامية - بحث نُشر بمجلة المسلم.
- حديث الأبدال حديث صحيح - بحث نُشر بمجلة المسلم.
- التداوي بالقرآن حقيقة إيمانية - مقال نُشر بمجلة المسلم.

الفهرس

الموضوع	الصفحة
قديم	٥
مهيد	١١
فصل الأول: قضية التبرك برسول الله ﷺ في ذاته الشريفة، وفيما يتعلق به	٢١
بحث الأول: ذكر أحاديث التبرك	٢٢
لبحث الثاني: ذكر فهم المحدثين وشرّاح السنة النبوية المطهرة	٣٣
لفصل الثاني: طهارته ﷺ في الظاهر والباطن........................	٣٧
لنقل من المذاهب الفقهية على طهارة فضلاته ﷺ	٤٥
أولاً: النقل من مذهب الحنفية	٤٥
ثانيًا: النقل من مذهب المالكية	٤٦
ثالثًا: النقل من مذهب الشافعية	٤٨
رابعًا: النقل عن مذهب الحنابلة	٥٠
خامسًا: النقل عن مذهب الزيدية	٥١
سادسًا: النقل من مذهب الجعفرية	٥٢
الفصل الثالث: تخريج واقعة شرب امرأة لبول النبي ﷺ	٥٧
القصة الأولى: شرب أم أيمن لبول النبي ﷺ	٥٧

الموضوع	الصف
القصة الثانية: شرب بركة أم يوسف لبول النبي ﷺ	٥٩
من صحح قصة شرب بركة لبول النبي ﷺ	٦٢
الكلام حول التي شربت بول النبي ﷺ امرأة واحدة أم اثنتان؟	٦٣
الخلاصة	٦٨
خاتمة: في حب الصحابة - رضوان الله عليهم - لرسول الله ﷺ	٧١
صدر للمؤلف	٧٧
الفهرس	٧٩

النبي ﷺ طاهر عند جميع المسلمين

من ثوابت احترام النبي الكريم ﷺ أن يعتقد جميع المسلمين التابعين لمنهجه بطهارته الظاهرة والباطنة كما هو شأن الأنبياء جميعًا، وكما هو مسلم به عند كل عاقل يدين بشريعة إلهية، فمهما كان النبي ﷺ بشرًا تجري عليه ظروف المعاش، فإن له خصائص يمتاز بها عن غيره من البشر قد اختصه الله تعالى بها تشريفًا لذاته و تهيئة لتلقي رسالته.

وهذا الكتاب يعرض بشيء من التفصيل والبحث العلمي الدقيق القائم على الدليل الدامغ والمنزه عن الهوى والأغراض لطهارة النبي الظاهرة والباطنة مقدمًا ومستندا إلى وقائع خاصة بالنبي الكريم، حتى نخرج منه ونحن أكثر معرفة به ﷺ.

دار الفاروق للاستثمارات الثقافية

نحن ❤ الكتب

للشراء عبر الإنترنت
www.dfa.elnoor.com
(لا حاجة لبطاقة ائتمان)

زوروا موقعنا
www.daralfarouk.com.eg
www.darelfarouk.com.eg

ISBN 978-977-455-164-6